الجمهـوريــــة الجزائريــــة الديمقراطيــة الشعبيـــــة

وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمـــي

جامعة عبد الحميد ابن باديس ـ مستغانم ـ

كلية الآداب والفنون

قسم اللغة العربية وآدابها.

الدراسات الأدبية والنقدية.

الخطاب الحجاجـي فـي القرآن الكريــــم
سورة يوسف نموذجا

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي، تخصص أدب وحضارة عربية.

إعداد الطالـبة:

حياة حاسل.

إشــراف :

أ. د محمد حمودي .

السنة الجامعية:2016_2017

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

أحمد الله وأشكره على نعمته وأسأله دوامها، فمن غيره ماكنا وما وصلنا إلى نهاية مسارنا التعليمي، فالشكر لك يا منير دروبنا يا الله سبحانك.

الشكر للذين أناروا دروبنا وطريق العلم أمامنا: الوالدين الكريمين حفظهما الله وأطال عمرهما، وكل الأساتذة من الإبتدائي حتى الجامعة، وخاصة أستاذ المشروع يايوش، والأستاذ المشرف حمودي محمد و الأستاذة فطيمة داوود رحمها الله وجعل مثواها الجنة، و إلى جميع أساتذة جامعة عبد الحميد ابن باديس بمستغانم بقسم الأدب العربي.

كما أتوجه إلى كافة من ساعدني في انجاز هذا البحث، وفي كتابته وإخراجه، وأقدم لهم جزيل الشكر والعرفان، وخاصة أختي "حاجة"، والى كافة موظفي الوظيفة العمومية وبالخصوص منصورية، خديجة، سمير، وعليلو، وإلى كل من كان حبهم وردة عنبري ونجمة لعيني، فلكم مني ألحاني أعزفها على أوتار قلبي المتفائل.

وإلى كل من وضع يده على مذكرتي، وكذلك كل من يرغب ويحب الوصول إلى أعلى درجات العلم والمعرفة.

اهداء

إلى الذي شرفني بالعلم وسعى جاهدا لأبلغ فيه الغاية، أعزني بالكلمة حتى استوت معي، ووثق صلتي بالخير، وورثني الحق، إلى الذي علمني أن لا أتوانى في إعطاء القليل، إليك يا أبي "محمد" الغالي أطال في عمرك.

وأهدي هذا الجهد إلى ينبوع البر والجنة والعطاء والخير، وأيقونة الصبر، إلى أمي التي كان دعائها لي سندا ودعما، وسقاني حبها فوق احتياجي، إلى التي أفنت نفسها من أجل السهر عليّ، فإني أحبك من صميم قلبي يا أمي "خيرة".

كما أهديه إلى الرياض المثمرة والرياحين المزهرة، إلى إخوتي: نورية وزوجها "شارف" والتوأم "عائشة وخديجة"، إلى فاطمة وزوجها"عصمان" وإبنتها" حواء"، إلى إبراهيم وزوجته "إيمان" وابنته "هاجر"، إلى أمينة وزوجها"قاسم" وولدها" عبد الرحمن" ، إلى حاجة وموسى، وإلى كل العائلة الكريمة من الصغير إلى الكبير.

وإلى كل من أدين لهم ببسمة قلبي، فكانوا مصدر سعادتي ودوائي من كل سقم، وأناروا كل دروب الحياة أمامي، إلى كل الأصدقاء والأحباب: صابرينة، حياة، حليمة، أحمد، وإلى كل طلبة تخصص أدب وحضارة عربية.

وإلى كل الأحباب والأصدقاء التي نسيتهم سهوا.

بــســم الله الرحــمــن الــرحــيــم

والــصــلاة والــســلام عــلــى رســول الله وعلــى آلــه وصحبــه ومـن والاه.

لقد اهتم الباحثون على مر العصور بالقرآن، تفسيرا وتأويلا، تحليلا وقراءة من حيث النظرية والتطبيق، وتعددت مناهجهم في ذلك بتعدد خلفياتهم الثقافية والمعرفية، ذلك لمعرفة أسراره وإعجازه وأساليبه البيانية التي لا يمكن أن يجاريها كلام البشر، فهي تفوق كل خطاب، ومن هنا التحدي على الإتيان بمثله، في قوله تعالى: **"**فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" البقرة 23.

ومن المفيد القول أن الخطاب القرآني شكل بناءا تبليغيا مؤسسا على مقدمات تواصلية، يتم من خلالها التخاطب والتحاور متخذا الحجاج وسيلة في الإقناع واستقطاب الناس نحو عقيدة الإسلام، واستطاع أن يؤثر في متلقيه باعتماده استراتيجيات تتوجه إلى الروح والعقل معا، مما دعا الباحثين العرب، إلى بذل جهود في دراسة النص القرآني من أجل الكشف عن قيمة هذه الأساليب.

وعليه جاءت الفكرة في الغوص في إحدى تقنيات وآليات القرآن، تمثلت في الحجاج، فالقرآن خطاب حجاجي بإمتياز وجه لجميع الناس وبمختلف مشاربهم ومسالكهم بغية إستمالتهم وتوجيههم، مخاطبا العقول ثم النفوس، وقد عنونا بحثنا هذا **" الخطاب الحجاجي في القرآن الكريم سورة يوسف نموذجا"**، ومنه كانت الإشكالية التالية :

ـ مامفهوم الحجاج، وما أهم مرادفاته في القرآن؟.

ـ كيف ساهم الحجاج في نجاح الخطاب الموجه للكفار والمعاندين للرسالات؟، وما هي أهم خصائص هذا الأسلوب؟.

ـ مامدى مساهمة الخطاب الحجاجي في القرآن لإستمالة النفوس وتوجيه العقول؟.

ـ و ماهي أهم الآليات الحجاجية الموظفة في سورة يوسف ـ عليه السلام ـ، لتحقيق الإقناع؟.

ـ ومن أهم الدوافع التي حفزتنا لدراسة هذه الظاهرة هي:

ـ تميز القرآن الكريم باستراتجيات الحجاجية الخطابية.

ـ كما أن هناك دوافع ذاتية حفزتنا في الخوض في هذه الإشكالية وهي المكانة التي يحتلها القرآن في نفوسنا منذ حداثة سننا.

ـ كما أن سبب إختيارنا لسورة يوسف وهي الأسلوب اللغوي الجميل واللطيف و القص الممتع والكامل، وكما أنها منبع الأخلاق وتوجيه النفوس إلى الصبر والإحسان والصفح والإيمان والصدق.

أما المنهج الذي اِعتمدناه في بحثنا فهو المنهج التداولي الحجاجي الذي يقوم على وصف الظاهرة وتحليلها ثم إصدار الأحكام التي تبين قيمة هذه الظاهرة.

ومما تجدر الإشارة إليه هو أهم الدراسات التي استفدنا منها، من بينها: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية "لعبد الله صولة"، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية الى القرن الثالث الهجر " لسامية الدريدي"، صفوة التفاسير"لمحمد علي الصابوني"، التداولية والحجاج مداخل ونصوص"لصابر حباشة".

وقد اقتضت منا طبيعة الموضوع أن نقسم بحثنا الى مقدمة وثلاث فصول:

ـ **الفصل الأول** فقد جاء معنونا: **"بـالحجاج في القرآن الكريم"** وقد تضمن ثلاث مباحث:

المبحث الأول: الخطاب القرآني.

المبحث الثاني: الحجاج في الخطاب القرآني.

المبحث الثالث: البلاغة والحجاج.

ـ وتناولنا في **الفصل الثاني** الذي جاء بعنوان: **" الخطاب الحجاجي في القرآن "** وقد تضمن أيضا ثلاث مباحث:

المبحث الأول:الخطاب الحجاجي.

المبحث الثاني: سمات الخطاب الحجاجي.

المبحث الثالث:الخطاب الحجاجي بين المرسل والمرسل إليه.

ـ **الفصل الثالث** كان دراسة تطبيقية لنموذج حجاجي، عنوناه بـ"مقاربة حجاجية في سورة يوسف"، وتضمن خمسة مباحث:

المبحث الأول: الآليات البلاغية والأساليب الحجاجية في سورة يوسف.

المبحث الثاني: الأدوات اللغوية في سورة يوسف.

المبحث الثالث:العوامل الحجاجية .

المبحث الرابع: الحجاج في سورة يوسف.

المبحث الخامس:القيم الحجاجية المتجلية في السورة.

أما الخاتمة فكانت عبارة عن مجمل النتائج المتوصل اليها.

وفي الختام نشكر الله سبحانه وتعالى الذي وفقنا إلى هذا، ثم نتقدم بشكرنا إلى الأستاذ المحترم **"محمد حمودي"** الذي أشرف على بحثنا وعلى توجيهاته السديدة والصائبة والذي كان خير عون لنا، كما نقدم شكرنا أيضا إلى الأستاذين الكريمين **" د.عبد الرحمن بن زورة"**و **"د. عبد الحكيم بوغازي" و أ .سميرة عبايبي".**

والله الحمد من قبل ومن بعد وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين.

الفصل الأول: الحجاج في القرآن الكريم.

المبحث الأول: الخطاب القرآني.

المبحث الثاني: الحجاج في الخطاب القرآني.

المبحث الثالث: البلاغة والحجاج.

المبحث الأول: الخطاب القرآني:

الخطاب هو من كلام **الله** موجها في معظمه إلى من شهدوا نزول القرآن بشكل خاص مباشر -**للرسول صلي الله عليه وسلم**-، وبشكل عام لسائر الناس، **فقال تعالى:"** لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ"[1].

الخطاب القرآني رسالة إبلاغية ربانية عالمية لكل الناس، أنزله **الله تعالى** على نبيه" لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا **"**[2]، وفي ذلك يقول العلامة الشيخ **سيد قطب**:" لقد جاء هذا الكتاب لينشئ أمة وينظم مجتمعا ثم لينشئ عالما أو جنس...إنه جاء لإنشاء مجتمع عالمي إنساني وبناء أمة تقود هذا المجتمع العالمي وأنه الرسالة الأخيرة التي ليست بعدها من السماء رسالة"[3].

نرى أن القرآن في نداءاته وتوجيهاته يتسم بالشمول حيث أنه لم يجعل نداءه إلى فئة دون فئة، أو جنس دون جنس، أو أهل دين دون غيرهم.

خصائص الخطاب القرآني:

خاطب القرآن الكريم الناس جميعا بما فيهم الأنبياء والمرسلين وكافة أصناف البشرية كالمؤمنين والكفارين و المنافقين وأهل الكتاب، وكان الخطاب القرآني لكل فئة بما يناسبها، ويؤثر في وجدانها وتفكيرها، فخاطب أهل مكة بالجمل القصيرة ذات الجرس الموسيقي الحاد، الذي يقرع داخل الأذن، فيوقظهم من سباتهم العميق إلى حقيقة المبادئ والأفكار التي جاء بها القرآن، **قال تعالى**:" فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ، فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ، عَلَى الكَافِرِينَ غَيْرَ يَسِيرِ"[4] ، **وقوله تعالى:"** فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَةُ، يَوْمَ يَفِرُ المَرْءُ مِنْ أَخِيهِ، وَأُمِهِ وَأَبِيه، وصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ، لِكُلِ إمْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ"[5] **.**

1- سورة الأنبياء، الآية10.
2 - سورة الفرقان، الآية 1.
3- لطفي فكري محمد الجودي،جمالية الخطاب في النص القرآني، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ط 1، 1435هـ،2014مـ، ص 93.
4 - سورة المدثر، الآية 108..
5 - سورَة عبس، الآية 33الى 37.

قوله تعالى:" الحَاقَةُ، مَا الحَاقَةُ، ومَا أَدْرَاكَ مَا الحَاقَةُ، كَذَبَتْ ثَمُودُ وَعَادُ بِالقَارِعَة، فَأَمَا ثَمُودَ فَأُهْلِكُوا بِالطَاغِيَة، وَأَمَّا عَادُ فَأُهْلِكُوا بِرِيحِ صَرْصَرٍ عَاتِيَة**"**[1]**.**

جاء القرآن الكريم بأوضح تصوير وهو يبين حال الكافرين عندما يلتقي بهم رسول الله وهم مجتمعون ليدعوهم الى حقيقة هذا الدين، فيفروا من أمام هذه الدعوة في كل اتجاه يتخبط، فهم أشد حيوانية من الحيوانات التي تفر من قسورة الذي جاء ليفترساها ليعيش عليها، بينما الرسول محمد جاءهم بهذا الخير العميم المتمثل في هذا الدين [2] **قال تعالى:"** فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَافِعِينَ، فَمَا لَهُمْ عَنْ التَذْكِرَة مُعْرِضِينَ، كَأَنَهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفَرَةٌ، فَرَتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ**"**[3].

بينما الخطاب القرآني في المدينة يخاطب المؤمنين برقة ورحمة ويمتاز بسلاسة العبادة وخلوها من القسوة والشدة، لانه يخاطب قوما مؤمن طائعين لأمر الله ورسوله، **قال تعالى:"** فِيمَا رَحْمَةٌ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظاً غَلِيظَ القَلْبِ لإِنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ واسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزِمْتَ فَتَوَكَلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُ المُتَّوَكِلِينَ**"**[4]**.**

الخطاب القرآني يتوجه بشكل مباشر هادف إلى الإنسان في كينونته الكاملة عقلا ونفسا ووجدانا وعاطفة، يقول **الدكتور عبد الله دراز** :" وفي النفس الإنسانية قوتان: قوة التفكير، وقوة وجدان، وحاجة كل واحدة منهما غير حاجة أختها، فأما إحداهما فتنقب عن الحق لمعرفة وعن الخير للعمل به، أما الأخرى فتسجل إحساسها بما في الأشياء من لذة، وألم، والبيان التام هو الذي يوفي لك هاتين الحاجتين ويطير إلى نفسك بهذين الجناحين فيؤتيهما حظهما من الفائدة العقلية والمتعة الوجدانية معا[5] .

1- سورة المدثر، الآية 48الى 51.
2 - مفهوم الخطاب القرآني في ضوء سورة النور ماجستير ,عصام العبد زهد, الجامعة الإسلامية، غزة، ص، 8،9.
3 - سورة المدثر، الآية 51،48.
4 - سورة آل عمران، الآية 159.
5 –عبد الله دراز، النبأ العظيم، دار القلم، ط06، ص113، 114.

فهو خطاب لابد أن يبدأ بالإنسان ذاته ونفسه في إطار الأمة من غير انحراف نحو عرق أو طبقة أو لاهوت أو ما إليها، فإنها كلها تتنافى مع مكونات هذا الإنسان وخصائصه وهو خطاب موجه من المخاطب ' **الله**' إلى المتلقي بجميع مستوياته وإدراكه، فخطاب لا يسمح للمخاطب أن يتجاهلها ويتجاوزها، فهو يفرض على المخاطب الإستجابة.

أسلوب القرآن:

ظل أسلوب القرآن راسخا على مر القرون، تذل أمامه أعناق خاضعة لا تفكر في أن تجاريهن لأنها أشد عجزا، وسيظل هذا الأمر على حاله إلى يوم الدين .

ومن مميزات التي إختص بها الأسلوب القرآني:

1- المرونة والمطاوعة في التأليف لبقائه خالدا بأسلوبه المتميز، وبخصائصه الفريدة ذات المرونة في التأويل التي لا تحمل الآراء المتناقضة، وما يزال هذا الأسلوب يحمل من كنوز العلوم والحكم والحقائق[1].

2 - الإعتماد على الطريقة التصويرية في التعبير عن المعاني والأفكار التي يريد إيضاحها سواء كانت معاني ذهنية مجردة أو قصصا عابرة أو مشاهدة يوم القيامة وغيرها من المجالات.

3- الإعتماد على الطريقة المتميزة في المحاجة والإستدلال كسياق محاججة الكفار، والوعود لأولياء الله والوعيد لأعداء الله[2].

من أهم خصائص الأسلوب القرآني انه يخاطب مستويات البشرية في آن واحد مهما إختلفت مواهبهم، وأفهامهم وإختصاصاتهم.

---

1 - ينظر:سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت، القاهرة ط 6،7، 1980،1982/1400، 1402 ص 243.

2 - ينظر: مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1981، 1401 ص 243.

أنواع الخطاب القرآني:

قال الشيخ **عيسى بن قاسم** في كتابه المسمى "الفتح المحمدي في علم البديع البيان والمعاني": "الخطاب في القرآن على أربعين وجها [1]، وقد ذكر **الإمام الزركشي في** كتابه "البرهان في علوم القرآن "للخطاب ثلاثة وثلاثين وجها[2] مع الإستعانة برسالة ماجستير لخالد داد ملك، الخطاب القرآني وأنواع ، ومن خلال هاذين الكتابين استقينا من هو الأوجه التي لم ترد مشتركة فيهما حتى بلغ عددها خمسة و أربعين وجها ب:

أولا: خطاب العام والمراد به العموم: كقوله تعالى:﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾[3]، ﴿إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌ ﴾[4].

ثانيا : **خطاب الخاص والمراد به الخصوص:** كقوله تعالى :" أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ"[5]، " يَا أَيهُّا الرَّسُولُ بلَّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ ".[6]

ثالثا : **خطاب العام والمراد به الخصوص :**كقوله تعالى :" يَا أَيهُّا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ "[7].

رابعا :**خطاب الخاص والمراد به العموم:** كقوله تعالى:﴿يَا أَيهُّا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [8]

افتتح الخطاب بالنبي صلى الله عليه وسلم، والمراد سائر من يملك الطلاق .

. وقوله :﴿يَا أَيهُّا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَاَ لكَ أَزْوَاجَكَ﴾ [9]، الآية :كان ابتداء الخطاب له، فلما قال في الموهوبة :﴿ خَالصَةَ لَّكَ ﴾، عن عكرمه **رضي الله عنه في قوله** ﴿ خَالِصَةَ لَّكَ ﴾ لا

1- البرهانفوري ، عيسى بن قاسم الفتح المحمدي، في علم البديع والبيان و المعاني، مخطوطه ،ص50.
2- الزركشي أبو عبد الله بدر الدين بن بهادر بن عبد الله المصري، البرهان في علوم القرآن ، تح محمد أبو االفضل ابراهيم، ج1، دار الفكر، ط3، 1980،1400، ص231.
3 - سورة الروم ،الآية 54.
4 - سورة المجادلة ،الآية 7.
5 - سورة يونس، الآية4.
6- سورة المائدة: الآية 67.
7- سورة النساء:: الآية 1 .
8- سورة البقرة: الآية.13 .
9- سورة الأحزاب الآية .50.

تحل الموهوبة لغيرك ولوأن إمرأة وهبت نفسها لرجلٍ لم تحل له حتى يعطيها شيئاً وقال الزهري :لا تحل لهبة لأحد بعد **رسول الله صلى الله عليه وسلم.**[1].

خامسا: خطاب الجنس: **كقوله تعالى** :﴿ يَا أَيهُّا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ لعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[2] فإن المراد جنس الناس لا كل فرد، وإلا فمعلوم أن غير المكلف لم يدخل تحت هذا الخطاب، وهذا يغلب في خطاب أهل مكة كما سبق، ورجح **الأصوليون** دخول **النبي- صلى الله عليه وسلم-** في الخطاب ب﴿يَا أيُهَا النَّاسُ﴾ وفي القرآن سورتان، أولهما ﴿ياَ أَيُهَا النَّاس﴾ إحداهما :في النصف الأول، وهي السورة الرابعة منه، وهي سورة النساء، والثانية :في النصف الثاني منه، وهي سورة الحج.

سادسا :خطاب النوع:مثل :﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [3]، والمراد ببني اسرائيل بنو يعقوب عليه السلام.

سابعا: خطاب العين: نحو :﴿ وَقلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنْ الْظَّالِمِينَ ﴾[4]،وقوله ﴿ قِيْلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِنْا وَبَركَاتٍ عَلَيْكَ وعَلَى أُمَمٍ مِمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ﴾[5] ولم يقع في القرآن الخطاب ب" يا محمد" بل ﴿ يَا أيُهَا النَبِيُ﴾، ﴿يَا أيُهَا الرَسُولُ﴾ تعظيمًا له وتشريفًا، وتخصيصًا بذلك عمن سواه، وتعليماً للمؤمنين أن لا ينادوه باسمه.

ثامنا:خطاب المدح: مثل :﴿يَا أَيهَا الذِّينَ آمَنُوا﴾[6]؛ ولهذا وقع خطاباً لأهل المدينة :﴿الذِّينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا﴾ .[7]أخرج **ابن أبي حاتم** عن **خيثمة** قال :ما تقرؤن في القرآن ﴿ياَ أَيُهَا الذِّينَ آَمَنُوا﴾ فإنه في التوراة" يا أيها المساكين" [8] .

1- ابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم، طبعة بمصر 1389 ه- **32 /482** .
2- سورة البقرة:: الآية 21.
3- سورة البقرة، الآية **40**.
4 - سورة البقرة : الآية 3.
5- سورة هود الآية :48.
6- سورة البقرة الآية:104 .
7- سورة التوبة :الآية 20 .
8- أبي حاتم، ابن أبي حاتم في تفسير،ص 196.

وأخرج **أبو عبيد عن ابن مسعود** قال :إذا **سمعت الله** يقول :﴿يَا أَيُّهَا الذِّينَ آمَنُوا﴾، فأعرها سمعك، فإنه خيرٌ يأمر به، أو شر ينهى عنه[1].

تاسعا: خطاب الذم: نحو :﴿يَا أيُهَا الذّينَ كَفَرُوا﴾[2]، ﴿قُلْ يَا أَيُهَا الكَافِرُونَ﴾ [3]ولما تضمن تضمن هذا الخطاب الذم لم يقع في القرآن في غير هذين الموضعين كعكسه في حق المؤمنين الممدوحين ب﴿يَا أيُهَا الذِّينَ آمَنُوا﴾ .على المواجهة وفي جانب الكفار جيء بلفظ الغيبة إعراضًا عنهم كقوله :﴿إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا﴾[4].

عاشرا: خطاب الكرامة: كقوله :﴿ يَا أَيُهَا النَبِيُّ﴾ [5]و﴿يَا أيُهَا الرَسُولُ﴾ قال بعضهم :نجد الخطاب بالنبي في محل لا يليق به الرسول، وكذا عكسه كقوله في الأمر بالتشريع العام: ﴿يَا أَيهُّا الرَّسُولُ بلَغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ ﴾[6]، وفي مقام خاص :﴿ يَا أَيهُّا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ ﴾[7]، قال :وقد يعبر النبي أيضًا في مقام التشريع العام.

الحادي عشر: خطاب الإهانة: نحو قوله :﴿ قَالَ اخْسَئوا فِيْهَا وَلَا تُكَلِمُونَ ﴾ [8].و﴿ فَإنَّكَ رَجِيمٌ)[9]، وقوله :﴿ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾[10]

الثاني عشر: خطاب التهكم[11]:نحو (ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾[12]،(فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[13] .

---

1 - القاسم بن سلام، فضائل القرآن، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، 1991 م، ص31 .
2- سورة التحريم الآية 7 .
3- سورة الكافرون الآية1 .
4- سورة البقرة الآية 6 .
5 - سورة الأنفال :الآية 65 .
6 - سورة المائده :الآية:67.
7 - سورة التحريم الآية:51
8 - سورة المؤمنون الآية:10 .
9 - سورة الحجر: الآية34 .
10- سورة الإسراء:الآية:64 .
11 - السابق، الزركشي البرهان في علوم القرآن، ص232.
12- سورة الدخان الآية :49 .
13- سورة آل عمران الآية :21 .

الثالث عشر: خطاب الجمع بلفظ الواحد:نحو: ﴿ يَا أَيهُّا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾[1]،﴿يَا أَيهُّا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾[2]،﴿ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيْقًا ﴾[3].

الرابع عشر : خطاب الواحد بلفظ الجمع: مثل:﴿يَا أَيهُّا الرُّسُلُ كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُوْنَ عَلِيْمٌ، وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتقُّونِ، فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بيْنَهُمْ زُبرًا كُلُّ حزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [4]، فهو خطاب له- صلى الله عليه وسلم- وحده، وحده، إذ لا نبي معه ولا بعده[5].

الخامس عشر: خطاب الواحد بلفظ الاثنين: نحو :﴿ أَلْقِيَا فِيْ جَهَنَّمَ ﴾[6]، والخطاب لخازن النار أي لمالك وقيل :لخزنة النار والزبانية، فيكون من خطاب الجمع بلفظ الاثنين، ولا يخفى ما فيه من أن الخطاب للرئيسين والجند تبع لهما وهاهنا مناقشة وهي أن الملقي في النار وهو المالك والزبانية تضرب المطارق فلا يكون الخطاب إلا لأحدهما تأمل،

إلا أن يقال :﴿ إِذَا أُلْقُوا فِيْهَا سمِعُوا لهَاَ شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴾ [7]أسرع الزبانية أيضًا والإلقاء وقيل :الخطاب)للملكين الموكلين المذكورين في قوله :﴿وَجَاءتْ كُلُّ نفَسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشهِيدٌ﴾[8]فيكون على الأصل، وقيل :الخطاب للواحد وتثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل الفعل وتكريره أوالألف بدل من نون التأكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف[9].

السادس عشر : خطاب الأثنين بلفظ الواحد: كقوله تعالى:﴿**فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى**﴾ [10]أي ويا هارون، وفيها وجهان:أحدهما :أنه أفرده بالنداء لإدلاله عليه بالتربية .والآخر :لأنه صاحب الرسالة والآيات، وهارون تبع له، ذكره ابن عطية [11]وهو :أن هارون لما كان أفصح من موسى، نكب فرعون عن خطابه، حذراً من لسانه.

---

1 - سورة الإنفطار، الآية 6
2 - سورة الإنشقاق، الآية 6.
3 - سورة النساء، الآية:63 .
4 - سورة المؤمنون،الآية:51 ،53،52.
5 - الخزرجي، أبو جعفر، تفسير الخزرجي، طبعة دارالكتب العلمية، بيروت 1429 ه، ص2 .
6- سورة ق، الآية: 24
7- سورة الملك:، الآية 7 .
8- سورة ق، الآية 21 :
9- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص13 .
10- سورة طه،الآية :49.
11- ابن عطيه، المحرر الوجيز، دار الكتب العلمية، بيروت،1429 هـ،ص 146.

السابع عشر: خطاب الاثنين بلفظ الجمع مثل:﴿ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بيُوتًا وَاجْعَلُواْ بيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾[1].

الثامن عشر : خطاب الجمع بلفظ التثنية: وذلك كما تقدم في ﴿ أَلْقِيَا فِيْ جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾[2]

التاسع عشر: خطاب الجمع بعد الواحد: كقوله :﴿ وَمَا تَكُونُ فِيْ شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوْنهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُوْنَ مِنْ عَمَلٍ﴾ [3]قيل :[4]جمع في الفعل الثالث ليدل على أن الأمة داخلون مع النبي -صلى الله عليه وسلم-، ومثله ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء﴾ [5].

العشرون:خطاب عكسه: نحو :﴿أقيموا الصلاة﴾[6]، ﴿وبشر المؤمنين﴾ [7].

الحادي والعشرون : خطاب الإثنين بعد الواحد:﴿ قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمّاَ وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاء فِيْ الأَرْضِ﴾[8] .

الثاني والعشرون :عكسه نحو :﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنْ الجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾[9] .

الثالث والعشرون : خطاب العين والمراد به الغير: نحو :﴿يَا أَيهَّا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ ﴾[10]، ﴿فَإِن كُنتَ فِيْ شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ﴾ [11]، فحاشاه من طاعة الكافر منه والشك في النزول.

الرابع والعشرون : الخطاب للغير والمراد به عين المخاطب[12]: وقوله :﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيْهِ ذِكْرُكُمْ ﴾[13].

1- سورة يونس، الآية 8
2- سورة ق:،الآية 24
3- سورة يونس،الآية61 :
4- ابن الجوزي، تذكرة الأريب في تفسير الغريب، طبعة دارالكتب العلمية، بيروت 1425 ه، ص15
5- سورة الطلاق، الآية 1.
6- سورة البقرة:الآية 11.
7- سورة البقرة100 :
8 - سورة يونس، الآية78.
9 - سورة طه، الآية117.
10- سورة الأحزاب، الآية1.
11 - سورة يونس الآية94.
12- البرهانفوري،علم البيان والبديع والمعاني، ص54.
13- سورة الأنعام:27 .

الخامس والعشرون : الخطاب العام الذي لم يقصد به مخاطبٌ معين: نحو :﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ﴾[1]، ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ربهم) [2]، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنْ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِيْ السَّمَاوَاتِ وَمَن فِيْ الْأَرْضِ﴾[3]، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾[4].

السادس والعشرون : خطاب للخطاب المعين الممدوح ثم عدل إلى غيره: كقوله تعالى : ﴿فَإِن لمّ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُواْ أَنْمَا أُنزِلِ بِعِلْمِ اللهِ﴾[5]، خوطب بهـ النبي **صلى الله عليه وآله وآله وسلمـ**، ثم قال للكفار :﴿فَاعْلَمُواْ أَنْمَا أُنزِلِ بِعِلْمِ اللهِ﴾ بدليل ﴿فهل أنتم مسلمون﴾[6]، وقوله تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِتُؤْمِنْوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [7]فيمن قرأ بالفوقية **.وقوله :**﴿ ذَلِكَ أَدْنىَ أَلاَّ تَعُولُواْ ﴾ [8] .

السابع والعشرون : خطاب التلوين وهو الالتفات وقوله : ﴿ يَا أَيهَّا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء ﴾[9]، ﴿ فَمَن رَّبُّكُمَا يَامُوسَى﴾[10]

الثامن والعشرون :خطاب الجمادات خطاب من يعقل :كقوله تعالى:﴿ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سمَاء أَقْلِعِي﴾ [11]وقوله :﴿اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾[12]، قوله :﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنْا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الحَدِيدَ﴾[13].

التاسع والعشرون:خطاب التهييج [14]، نحو:﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنْيْنَ) [15]وقوله:﴿ فَالله أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنْيْنَ ﴾[16].

---

1 - سورة الأنبياء، الآية10 .
2- سورة السجدة:ـ،الآية 12.
3- سورة الأنعام، الآية 27.
4- سورة الحج، الآية:14 .
5 - سورة الفرقان، الآية :45.
6 - سورة هود، الآية13.
7 - سورة هود:، الآية 14.
8 - سورة الفتح، الآية8،7.
9 - سورة النساء الآية3.
10- سورة الطلاق، الآية1.
11 - سورة هود،الآية44
12 - سورة فصلت، الآية11.
13 - سورة سبأ، الآية10.
14 ـ البرهانفوري ، عيسى بن قاسم الفتح المحمدي، في علم البديع والبيان و المعاني، مخطوطه ،ص55.
15 سورة المائدة،الآية23.
16 سورة التوبة، الآية13.

الثلاثون :خطاب التحنن والاستعطاف نحو :﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِيْنَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَّحمَةِ اللهِ إنَّ اللهَ يغَفِرُ الذُّنُوبَ جمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[1]

الحادي والثلاثون : خطاب التحذير والتلقين: وقوله :﴿ قل يَا عِبَادِ الَّذِيْنَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِيْ هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾[2]

الثاني والثلاثون : خطاب العرض: كقوله تعالى :﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدِ﴾[3]، ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ﴾[4]، ﴿يَا ابْنَ آدَمَ لَا تَأْخُذِ بِلِحْيَّتِي﴾[5].

الثالث والثلاثون : خطاب نحو :﴿فاتوا بسورة من مثله﴾[6]، وقوله :﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ)[7] ، وقوله :﴿ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِنْ دُونِ اللهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[8]

الرابع والثلاثون: خطاب التشريف وهو كل ما في القرآن ب' قل **"كالقلاقل"**[9]، فإنه تشريف منه تعالى لهذه الأمة، بأن يخاطبها بغير واسطة؛ لتفوز بشرف المخاطبة، وأنت خبير بأن الكلية منفوضة بقوله :﴿قُلْ يَا أَيُهَا الكَافِرُونَ﴾[10] .

الخامس والثلاثون : خطاب المعدوم: ويصح ذلك تبعاً لموجود نحو :﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يوُارِي سَوْءَاتِكمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[11]، فإنه خطاب لأهل ذلك الزمان ولكل من بعدهم[12].

1- سورة الزمر، الآية53.
2- سورة الزمر، الآية10.
3- سورة مريم، الآية42.
4- سورة لقمان، الآية16.
5- سورة طه،الآية94.
6 - سورة البقرة، الآية23.
7 - سورة الطور، الآية34.
8 - سورة هود، الآية13.
9 - هي :سور الكفرون، والإخلاص، والفلق والناس.
10- سورة الكفرون :، الآية1.
11 - سورة آل عمران، الآية 6 .
12- خالد داد ملك، الخطاب القرآني و أنواع، دراسة بلاغية في ضوء الفتح المحمدي في علم البديع والبيان والمعاني،مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور باكستان،العدد الثاني والعشرون،2015مـ، ص69..

السادس والثلاثون : خطاب الإستغاثة: وقوله :﴿لِيقْضِ عَلَيْنَا رَبُكَ﴾[1].

السابع والثلاثون: الخطاب بمعنى التعجب أو الحسرة: قوله تعالى: ﴿يَا حَسْرَةَ عَلَى العِبَادِ﴾[2].

الثامن والثلاثون :خطاب الخبر والإنشاء معاً: وقوله :﴿قُلِ اللهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ﴾ [3].

التاسع والثلاثون : ما نزل بمكة خاصة أو بالمدينة خاصة: ويتبع المعدوم للموجود فيه أخرج الحاكم في مستدركه والبيهقي في الدلائل والبزار في مسنده من طريق الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبدالله قال ما كان ﴿يَا أَيُهَا الذِينَ آمَنُوا﴾ انزل بالمدينة وما كان ﴿يَا أيُهَا النَّاسُ﴾ فبمكة.

قال **ابن عطية وابن الفردوس** وغيرهما في :﴿يَا أَيُهَا الذِينَ أَمَنُوا﴾ صحيح وأما : ﴿يَا أَيُهَا النَّاسُ﴾ فقد يأتي في المدني، وقال **ابن حصار** :قد اعتنى المتشاغلون بالنسخ الحديث واعتمدوه على ضعفه، وقد اتفق الناس على أن سورة النساء مدنية وأولها ﴿يَاأَيُهَا النَّاسُ﴾ وعلى أن سورة الحج مكية وفيها ﴿يَا أَيُهَا الذِينَ أَمَنُوا ارْكَعُوا﴾ وهاهنا اختلاف كثير.[4]

الأربعون: خطاب الاعتبار كقوله تعالى حاكياً عن قوم صالح لما هلك قومه :﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾[5]، خاطبهم بعد هلاكهم؛ إما لأنهم يسمعون ذلك كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم بأهل بدر؛ وإما للاعتبار كقوله :﴿ قُلْ سِيرُوا فِيْ الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ ثُم اللهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[6] .

---

1 ـ سورة الزخرف، الآية77 :
2 ـ سورة يونس، الآية 30.
3. ـ سورة آل عمران، الآية26.
4 ـ السابق، خالد داد ملك، الخطاب القرآني وأنواع، مجلة، ص 70,71.
5ـ سورة الأعراف، الآية79 .
6 ـ سورة العنكبوت، الآية20 .

الواحد والأربعون : خطاب الإغضاب: كقوله تعالى :﴿إِنَّمَا ينَهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِيْنَ قَاتَلُوكُمْ فِيْ الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يتَوَلَّهُمُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[1].

الثانى والأربعون : خطاب التشجيع والتحريض: وهو الحث على الاتصاف بالصفات الجميلة[2]، كقوله تعالى :﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِيْنَ يقُاتِلُوْنَ فِيْ سَبِيلِهِ صَفا كَأَنْهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [3].

الثالث والأربعون:خطاب التنفير: كقوله تعالى :﴿ وَلَا يغْتَب بعَّضُكُم بعَضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾[4] .

الرابع والأربعون : التحسير والتلهف: نحو قوله تعالى:﴿ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيْمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾[5] .

الخامس والأربعون:التكذيب[6]: كقوله تعالى :﴿ قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [7]**وقوله:** ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءكُمُ الَّذِيْنَ يَشْهَدُونَ ﴾[8].

يتبين لنا أن الخطاب القرآني خطاب دال على ذاته، بل أبعد من ذلك دلالته على مبدعه وإعجازه في سبك الكلمات وصنع الخطابات.

---

1 ـ سورة الممتحنة، الآية9 .
2ـ خالد داد ملك، الخطاب القرآني وأنواعه،ص 13.
3 ـ سورة الصف، الآية4 :
4 ـ سورة الحجرات :، الآية12.
5 ـ سورة آل عمران الآية :119.
6 ـ الزركشي، البرهان في علوم القرآن،ص 234.
7 ـ سورة آل عمران:، الآية 93
8 ـ سورة الأنعام، الآية 150 .

المبحث الثاني: الآليات الحجاجية في الخطاب القرآني :

مفهوم الحجاج في القرآن:

الحديث عن الحجاج في الثقافة العربية الإسلامية هي نظرة دقيقة الى التراث العربي، لتتقاسمه فروع أخرى، كعلوم القرآن، وعلم التفسير، وعلم أصول الفقه، الفلسفة، وعلم الكلام، ويعود تسرب الحجاج لهذه الفروع، إلى تقاسمها لفن الخطابة باعتبارها فنا قادرا على مجابهة الجمهور وحملهم على الإقناع.

من الكتب التي تعرضت الى " **الحجاج**" في ألفاظ مختلفة، كتب علوم القرآن كـ:"**البرهان في علوم القرآن" للزركشي** ، و" **الإتقان في علوم القرآن "للسيوطي**، حيث قامت كلمة **الحجاج** مقام **الجدل** في القرآن، مستخدمين " **المحاجة**"، و" **الإحتجاج**"،و "**الحجاج**" مرادفات للجدل.

كما لا يخفى علينا أن كتب التفسير تعرضت إلى بيان **آلية الإقناع في الخطاب القرآني** وتفسيره دلالة **لفظتي" حجاج" "جدل** "من خلال القرآن الكريم فقد جاء في تفسير التحرير والتنوير إشارة إلى معنى" **حاج** "في **قوله تعالى** : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الّذِي حَاجَ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبهِ أَنْ آتَاهُ الله المُلْكَ إِذْ قَالَ إبْرَاهِيمُ رَبِّي الذِي يُحْي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِ وَأُمِيتُ قَالَ إبْرَاهِيمُ فَإِنَ اللهَ يَأْتِي بِالشَمْسِ مِنَ المَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ المَغْرِبِ فَبُهِتَ الذِي كَفَرْ وَاللهُ لَايَهْدِي القَوْمَ الظَالِمِينَ)[1].

معنى حاج خاصم، وهو فعل جاء على **زنة المفاعلة،** ولا يعرف لحاج في« الاستعمال فعل مجرد دال على وقوع الخصام، ولا تعرف المادة التي اشتق منها،ومن العجيب أن **الحجة** في كلام العرب **البرهان** (..) مع أن حاج لا يستعمل غالبا إلا في معنى المخاصمة[2] .

قال في شأن الجدل في قوله تعالى :﴿ ولَا تجادِل عنِ الَّذِين يختانونَ أَنفسهم إن الله لَايُحِبُ مَنْ كَانَ خَوَانَا أَثِيمَا ﴾[3] .

---

1 -سورة البقرة،الآية258.

2 - ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، الدار الجماهيرية للنشر، دت،3 ط، ص 31،32.

3- سورةالنساء، الآية107 .

والمجادلة مفاعلة من الجدل وهو القدرة على الخصام والحجة فيه، وهي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك"، فالجامع بين لفظي" الجدل "و" الحجاج" هو المخاصمة[1].

لقد ورد جذر(ح-ج-ج) ومشتقاتها في القرآن الكريم في ثلاثة وثلاثين موضعا، ففي عشرين موضع دلت على معنى "المحاجة"، وإثنى عشرة موضعا بمعنى "الحج" أي الشعيرة، وآخر وحيد بمعنى السنوات:

والجدول الآتي يبين لنا السور والآيات:

الآية	السورة ورقمها
﴿ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربهِ ...﴾	البقرة258
﴿فمن حاجك فيهِ من بعدِ ما جاءك من العلمِ ...﴾	آل عمران61
﴿ فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ...﴾	آل عمران20
﴿ ها أنتم هؤلاءِ حاججتم فيمالكم بهِ علم ...﴾	آل عمران66.
﴿ وحاجه قومه ...﴾	الأنعام80
﴿ .. ليحاجوكم بهِ عند ربكم ...﴾	البقرة76
﴿ قل أتحاجوننا في اللهِ ...﴾	البقرة139
﴿ يا أهلَ الكتابِ لم تحاجونَ في إبراهيم ...﴾	آل عمران65
﴿.. فلِم تحاجونَ فيما ليسلكُ م بهِ علم ...﴾	آل عمران66
﴿ .. أو يحاجوكم عند ربكم ...﴾	آل عمران73
﴿.. قالَ أتحاجوني في اللهِ...﴾	الأنعام80
﴿ والذين يحاجون في الله ﴾	الشورى16
﴿ وإذْ يتحاجونَ في النارِ ﴾	غافر47
﴿.. لِئلّا يكونَ لِلناسِ عليكم حجةٌ ...﴾	البقرة150
﴿..لِئلّا يكونَ لِلناسِ علَى اللهِ حجةٌ بعد الرسلِ ...﴾	النساء165

[1] لمهابة محفوظ ميارة ، الحجاج دراسة مصطلحية، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، ع 71 ،ج3 ، ص531.139

﴿ وتِلك حجتنا آَتيناها إبراهِيم علَى قَومِهِ ...﴾	الأنعام83
﴿ قُل فَلِلَّهِ ٱلحجةُ ٱلبالِغةُ﴾	الأنعام149
﴿لاحجة بيننا و بينكُم﴾	الشورى 15
﴿حجتهم داحِضةٌ عِندربِّهِم﴾	الشورى16
﴿ما كَانَ حجته إِلَّا أَن قَالُوا)	الجاثية25

فالحجاج في القرآن الكريم مفهوم معبر عنه بأشكال من العبارات والأساليب التي تروم الحوار وتهدف الى الإقناع بالبراهين والأدلة العقلية والكونية والفكرية، وقد جمع القرآن الكريم كل ذلك في دلالات ضميمة جامعة هي الحجة البالغة ، " **قل فلله الحجة البالغة**"[1]، وهذا مايظهر أن الذي يدعي صحة رأيه عليه بإثبات ذلك وقد ورد لفظ الحجاج في عدة آيات من القرآن كما هو أعلاه......

تنتمي الى الحجاج في مجاله المفهومي عدة مفردات مستعملة في القرآن الكريم، وهي مفردات يمكن أن تكون منظومة من المفاهيم التي تجمعها علاقات الترادف والتقابل ولعل مجموع ما أمكن رصده من تلك المفردات ما يلي:

1) **الجدل**: ويكاد يرادف الحجاج، ثم انه وارد في القرآن الكريم ورودا يكاد مساويا لفظ' الحجاج' اذ ورد في تسعة وعشرين موضعا كقوله تعالى:" وَجَادَلُوا بِالبَاطِلِ لِيُدْحِضُو بِهِ الحَقَ".[2].

2) المخاصمة: بمعنى التخاصم، الخصام، وهو قليل الورود في القرآن " إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ اِلىَ رَبِكُمْ تَخْتَصِمُونَ[3].

---

1 ـ سورةالأنعام ، الآية149.
2 ـ سورة غافر، الآية 5.
3 ـ سورة الزمر، الآية31.

3) **المراء**[1]: يكاد يكون مرادفا للحجاج والجدل أيضا غير أنه قليل الورود في القرآن الكريم:" ذَلِكَ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ قَوْلُ الحَقِ الذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ"**[2].**

4) **التحاور: "** المحاورة والحوار"، وهو من أهم الألفاظ المستعملة في هذا المجال وأشهرها وخصوصا في العصر الحديث [3]، وهو قليل الورود في القرآن :" وَكَانَ لَهُ ثُمُرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُ نَفَرا" [4].

5) **المنازعة:** النزاع، وهي لا تقل في قوتها المفهومية عن المصطلحات السابقة، بل إنها في لفظها تعد عنصرا محوريا في تعريف الجدل والحجاج حتى قال **أبو البقاء** في تعريف الجدل:" وهو لايكون الا بالمنازعة" **وهو قليل الورود في القرآن :"** وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَاتَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا"[5].

7) **الخلاف**: الإختلاف وهو أيضا من أهم المصطلحات المتداولة في هذا المجال ولذلك يذكر علم الخلاف الى جانب علم الجدل وأما مادته في القرىن الكريم كثيرة، تحتاج الى دراسة مستقلة[6]، **كقوله تعالى:**" إنْ رَبِكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ"[7].

الحجاج القرآني هو الحوار الذي يراد به الإبانة والإبلاغ والإقناع وذلك بإستخدام الدلائل العقلية والعلمية واللغوية والفطرية والواقعية والبيانات القرآنية والكونية في الأنفس والآفاق، إثباتا لحقيقة الإسلام والإيمان بالله ولقائه ورسله وقضايا الآخرة.

إستعمال المناهج الجدلية والبراهين القرآنية في دعوة الى الصراط المستقيم الموصل الى ذي العزة والجلال، إنه انتهاج الطرق الحوارية الكفيلة بتحقيق الحق وتثبيته، وابطال الباطل وتزهيقه دفعا لضلالات الكافرين وشبهات المنافقين، وتشكيكات اليهود والنصارى والملحدين، وبالنظر الى السياقات والمواضع، فقد ورد الحجاج القرآني في ثلاث مسارات:

---

1 ـ لمهابة محفوظ ميارة، مفهوم الحجاج في القرآن الكريم، مجلة اللغة العربية، دمشق، العدد 71، ص530.
2 ـ سورة مريم، الآية 34.
3 ـ السابق، لمهابة محفوظ ميارة، مفهوم الحجاج في القرآن الكريم، ص530.
4 ـ سورة الكهف، الآية34.
5 ـ سورة الأنفال، الآية 46.
6 ـ السابق، لمهابة محفوظ ميارة، ص533.
7 ـ سورة يونس، الآية93.

1- **المسار الأول**: الحجاج قاد اليه الكفر والنفاق وهو جدل المبطلين، ميزته الكبرى أن قوادح الهوى والعمى فيه على مناقب الهدى والتقوى.

2- **المسار الثاني**: تميز هذا النوع من الحجاج بالإسترشاد وحب الإستطلاع، وقد ورد هذا الضرب على لسان إبراهيم - عليه السلام - بأسلوب الدعاء[1].

3- **المسار الثالث**: حجاج دفع اليه الحق والهدى ويدخل فيه الجدل القرآني لإظهار الحق، حجاج يسعى إلى تبيين وجه الصواب وهو الذي ورد على ألسنة الأنبياء والمرسلين وأتباعهم [2].

المبحث الثاني: الآليات الحجاجية في الخطاب القرآني:

توافر في القرآن من المعطيات ما جعله خطابا حجاجيا، وما جعل الحجاج يصيب كثيرا من العناصر اللغوية، مثل الكلمات والتراكيب والصور، وهي تتكرر فيه تكرارا جعل منها خصائص أسلوبه المميزة[3].

إننا ننطلق من فكرة بديهية جدا وهي أن القرآن خطاب، وكونه خطابا يقتضي أنه اقناع وتأثير، و مما يثبت أنه خطاب كثرة مخاطباته حتى جعلت هذه المخاطبات في القرآن علما من علومه[4].

المخاطبون فيه نوعان على الأقل: نوع يذكر داخل النص القرآني وهذا بدوره قسمان، قسم مذكور معين بإسمه أو لقبه، أو بضمير الخطاب الذي يعنيه، شأن خطاب **رسول الله** -ﷺ- وخطاب **الكافرين** نحو: **"قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ"**[5] .

---

1 - السابق، لمهابة محفوظ ميارة، مفهوم الحجاج في القرآن الكريم ص 533،532.
2 - السابق،ص 552.
3 - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، المرجع السابق، ص.40
4 - بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص253،217.
5 - سورة الكافرون، الآية1.

قسم مذكور في القرآن لكنه غير معين ولامحدد **فالمخاطبون** هنا ليسوا بأعيانهم، والصورة النحوية التي جعلت لهم ضمير المخاطب المفرد عادة[1].

نحو قوله تعالى:"وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ المَوْتِ "[2]، " فَانْظُر كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةَ المُفْسِدِينَ"[3]، على من اعتبر الخطاب في الآيتين لغير معين، وقد يكون **الرسول- صلى الله عليه وسلم-.**

أما النوع الآخر من **المخاطبين** فواقع خارج النص القرآني غير مذكور فيه، ولكنه مع ذلك معنى بخطاب القرآن، وهو جمهور السامعين والمتلقين على إختلاف عصورهم وأمكنتهم، إنه بعبارة "الحجاجين" "الجمهور الكوني"[4]

الخطاب القرآني في ذلك كله أنواع، فهو حسب **الزركشي**: "خطاب تهييج وإغضاب، وتشجيع وتحريض وتنفير وتحبيب وتعجيز وتحسير وتكذيب وتشريف" [5].

القرآن الكريم هو" أقوى المواضع حجة ألا ترى ان الله جعله الحجة والبيان، والداعي والبرهان"[6].

احتوى على جميع أنواع البراهين والأدلة "فما من برهان ودلالة وتقسيم وتحذير تبنى من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا كتاب الله قد نطق له"[7].

1 - عبد الله صولة، ص41.
2 - سورة الأنعام، الآية 93.
3 - سورة النمل، الآية 14.
4 - ينظر، عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، ص42.
5 - الزركشي، البرهان في علوم القرآن253.
6 - أبو بكر الباقلاني، اعجاز القرآن، محمد شريف سكر، دار إحياء العلوم، بيروت ط 2،1990م-1411هـ، ص374،373.
7 - محمد الكتابي، جدل العقل والنقل في مناهج التفكير الإسلامي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط 1، 1992،ص44.

وهذه بعض الأدلة من القرآن الكريم:

أ ـ القياس المضمر: في قوله تعالى: "وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الكِتَابِ آمَنُوا واتَّقَوا لَكَّفَرْنَا عَنْهُمْ سيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُم جَنَاتِ النَّعِيمِ، وَلَوْ أَنَّهُم أَقَامُوا التَوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلَ اِلَيْهِم مِنْ رَبِهِمُ لَأَكَلُوا مِنْ فَوقِهِمْ ومِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِنْهُمْ أُمَةٌ مُقْتَصَدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ "[1].

وتخريجه نحو:

المقدمة الكبرى (مذكورة) :

ولو ان أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم(الأولى) .

لو انهم أقاموا التوراة والإنجيل...لأكلوا من فوقهم... (الثانية).

المقدمة الصغرى(مضمرة):

لكنهم لم يؤمنوا ولم يتقوا (الأولى) .

لكنهم لم يقيموا التوراة والإنجيل (الثانية) .

النتيجة:

لن نكفر عنهم سيئاتهم ولن ندخلهم الجنة(الأولى)

لن يأكلوا من فوقهم..... (الثانية).

ب ـ قياس الخلف:

في قوله تعالى: " أَفَلَا يَتَدَبَرُونَ القُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اِخْتِلَافًا كَثِيرَا"[2].

وتخريجه نحو:

المقدمة الكبرى(مذكورة): لو كان القرآن من عند غير الله لوجد الناس فيه اختلافا.

المقدمة الصغرى (مضمرة): لكنهم لم يجدوا فيه اختلافا.

النتيجة(مضمرة): اذن القرآن الكريم هو من عند الله[3] .

---

1 ـ سورة المائدة، الآية67،67.

2 ـ سورة النساء، الآية81.

3 ـ محمد الكتابي، جدل العقل والنقل في مناهج التفكير الإسلامي،ص44.

جـ ـ قياس التمثيل : **قوله تعالى:"** أَوَلَمْ يَرَوْا اَنَ اللهَ الذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ قَادِرٍعَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَالِمُونَ إِلَا كُفُورَا **"**[1].

فالله تعالى خالق السماوات والأرض أثبتت قدرته من خلال خلقه لهذا الكون البديع، فالذي قدر على هذا يقدر على ما دونه وما أكثر منه.

د ـ القياس على المحال:

قوله تعالى:" إِنَ الذِينَ كَذَبُوا بِأَيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عنْهَا لَاتَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الجَنَةَ حَتَى تَلِجَ الجَمَلَ فِي سُمِ الخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي المُجْرِمِينَ **"**[2].

المقدمة:

- يدخل المكذبون بآيات الله الجنة عندما يلج الجمل في سم الخياط.
- لكن الجمل لن يدخل أبدا من سم الخياط.

النتيجة:

- لن يدخل المكذبون الجنة أبدا.[3]

والمبتغى من هذه اللمحات الا التنبيه أن القرآن خطاب حجاجي وعليه هو الحجة الكبرى، فيه ما يقنع الناس على إختلاف أصنافهم ومشاربهم.

خصائص الحجاج في الخطاب القرآني:

اتبع القرآن الكريم استراتجيات من أجل الإقناع والتأثير والتوسل بألوان من الحجج والبراهين ولقد تميز هذا الخطاب بخصائص منها :

---

1 ـ سورة الإسراء، الآية99.
2 ـ .سورة الأعراف، الآية40.
3 ـ حياة دحمان، ماجستير تجليات الحجاج في القرآن الكريم"سورة يوسف انموذج"، اشراف عز الدين صحراوي 2012، 2013، ص 107،106.

1- مخاطبة الناس حسب مدركاتهم:

المتأمل لكتاب الله يدرك أن القرآن جاء مخاطبا الناس أجمعين بإختلاف مستوياتهم وأشكالهم وتعدد نزعاتهم ولم تقتصر دعوته على جيل معين أو زمان معين [1].

ب - متانة وإحكام الحجج:

قامت حجج وبراهين القرآن على أسس متينة من الجودة والأحكام سواء أكان في نظمها أو تركيبها أم في صحة مقدماتها ونتائجها وبعد مراميها في معالجة القلوب وإصلاح المجتمعات.

جـ مخاطبة العقل والحس والعاطفة:

اِنطلاقا من الآية الكريمة:(ادْعُ اِلَى سَبِيلِ رَبِكَ بِالحِكْمَةِ والمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ أنَ رَبَكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالمُهْتَدِينَ)[2].

قسم **محمد التومي**، المخاطبين إلى ثلاثة أصناف تختلف فيهم وسائل الإقناع **:**[3]

الصنف الأول:

سهل المراس، سهل القبول والإقناع، تفكيره أقرب الى الفطرة وعليه فليس من الحكمة أن يخاطب بتفكير فلسفين ولا بأسلوب علمي جاف، وإنما يخاطب بأسلوب سلس يغذي الفطرة ويشد الوجدان ويأخذ الألباب، بأسلوب إلتقت فيه سياسة البيان وبلاغته بقوة الحق[4].

---

1 - ينظر: الحواس مسعودي، البنية الحجاجية في القرآن الكريم، سورة النمل أنموذج، مجلة اللغة والأدب، معهد اللغة وآدابها، العدد 12، الجزائر، ديسمبر1997، ص330.

2 - سورة النحل، الآية125.

3 - محمد التومي، الجدل في القرآن الكريم،فعالية في العقلية الإسلامية، شركة الشهاب للنشر والتوزيع ،باب الواد ، الجزائر، دط،دت، ص 12،13.

4 - السابق،ص 241.

الصنف الثاني:

هو من غلب عليهم الصنف الديني أو مبدأ اِيديولوجي دفعه إلى التعصب،" والتعصب يعمي ويصم ويجعل النفس ملتوية ومتشبعة ولا تستسيغ الحق إلا بعد جهد وبعد علاج عسير ولا يمكن إزالة ماعنده من ملابسات وإلتواءات الا بإستخدام جدل قوي فيه الدليل القاطع والحجة الصادقة..."[(1)] ولذلك وجبت مخاطبتهم بالعقل.

الصنف الثالث:

فهو لا يصدق إلا بالبرهان والقياس التام، وهم النخبة او الراسخون في العلم، ويصنفون الى ثلاثة أقسام:

1)- صنف ليس من أهل التأويل أصلا وهؤلاء يتوصل إليهم بالطريقة الخطابية وهم الجمهور.

2)- صنف من أهل التأويل الجدلي وهم الجدليون طبعا، أو طبعا وعادة.

3)- صنف هو من أهل التأويل اليقيني وهم اليقينيون بالطبع والصناعة أي صناعة الحكمة والمنطق.

د) الدعوة الى الجدل بالعلم:

دعا القرآن الكريم في معرض الجدل أن يتسلح المجادل أو المحاجج بالعلم لان غرضه في ذلك إحقاق الحق والدعوة إليه وهذه الدعوة لا تكون الا بالعلم [2]، **قال تعالى**: **"قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَالَكَ أَلَا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ"**[(3)].

وقال أيضا : " وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَبِعُ كُلَ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ" [(4)]

---

1 ـ السابق، ص 242.
2 ـ محمد التومي، الجدل في القرآن الكريم،ص 14.
3 ـ سورة الحجر، الآية 32.
4 ـ سورة الحج، الآية 3.

وقال في شأن جدال أهل الكتاب: "هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْم فَلِمْ تُحَاجُونَ فِيما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ"(1).

هـ) إتاحة الفرصة للتفكير والمناقشة:

لأنه خاطب العقل الإنساني دونما إعتماد على الحواس الإنسانية وأسس للغة جديدة في العلاقة بين الله والإنسان، لغة تعتمد على العقل بعدما ثبت للبشر فشل اللغات الأخرى في علاقة بينهم وبين الله إذ أتاح القرآن الكريم للإنسان مناقشة أمور العقيدة والفقه كما فتح له باب الحوار ونذكر نماذج من القرآن تبين كيف أن الله عز وجل علم الناس كيفية محاورة الآخرين سواء أكان هذا الآخر من الذين يجادلون مكابرة أم عنادا أم تفقها أم اِطمئنانا كل على حسب نيته، فيقول **لإبراهيم -عليه السلام-** حينما طلب منه كيفية إحياء الموتى بنية الإطمئنان(2) ، " وَإِذْ قَالَ اِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي المَوْتَى قَالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَ لَكِنْ لِيَطْمَئِنَ قَلْبِي "(3).

أجاب الصنف المكابر المعاند أمثال فرعون الذي اِدعى الربوبية وقال أنا ربكم الأعلى فمن ربكما يا موسى أجابه على لسان سيدنا موسى : **"** قَالَ رَبُنَا الذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَ هَدَى" (4).

وعليه لابد على المحاور في أي زمان ومكان لأن يجعل الطرف الآخر يرتقي إلى درجة من يتعاون معه في إنشاء المعرفة مشتركة في التواصل ملتزما بأساليب معينة لتحقيق الإقناع متخذا القرآن الكريم منهجا له، ويقول -محمد حسين فضل الله-واصفا الحوار في القرآن:"القرآن وثيقة رائعة من وثائق الحوار الديني الذي يتعلق بكل قضايا العقيدة ابتداء من فكرة وجود الله وحدانيته الى الأحكام الشرعية"(5).

---

1 - سورة آل عمران، الآية66.

2- جمال حضري، المقاييس الأسلوبية في الدراسات القرآنية، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،ط 1، دت، ص 281.

3 -سورة البقرة، الآية 260.

4- سورة طه، الآية 50.

5 - محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن الكريم، دار المنصوري للنشر ، الجزائر، ج1، د ت، ص 10.

المتتبع لآيات القرآن الكريم يدرك كيف دعا الله المؤمنين إلى اِتباع الحوار فيه، باِتباع طريق الحسنى في حوارهم، وبين لهم كيف يصبح العدو صديقا، **يقول الله تعالى:"** وَلَا تَسْتَوِي الحَسَنَةُ ولَا السَيِئَةُ ادْفَع بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الذِي بيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ"[1].

و - إعجازه:

غاية الحجاج اِستمالة عقول الآخرين والتأثير فيهم، فهو آلية من آليات البيان لأن: " البيان في الكلام على مراتب، فأعلاها مرتبة ماجمع الأسباب الحين في العبارة من تعديل النظم حتى يحسن في السمع ويسهل على اللسان، تتقبله النفس تقبل البرد وحتى يأتي على مقدار الحاجة فيما هو حقه من المرتبة" [2]**.**

وعليه ندرك أن الحجاج في القرآن من أهم الأساليب الإعجازية فيه.

العوامل و الروابط الحجاجية:

العوامل و الروابط الحجاجية مفاهيم أساسية في الحجاج، رغم ان هناك اختلاف في المدلول العامل والرابط "فالعامل هو الذي يقوم بالربط بين وحدتين دلاليتين داخل الفعل اللغوي نفسه، فهو على هذا موصل قضوي، فهو بهذا يحمل المكونات داخل الفعل اللغوي ، فيبقى هذا الفعل ملتحما، أما الرابط فهو الذي يربط بين فعلين لغويين اِثنين ، فهو موصل تداولي معناه أنه يكفل هذه المكونات ليجعل منها أفعالا لغوية .

الرابط الحجاجي:

الرابط الحجاجي هو " الذي يربط بين ملفوظين أو أكثر في إطار إستراتيجية حجاجية واحد".

1- سورة فصلت، الآية 159.
2- الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في القرآن، تح: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دارر المعارف ، مصر، ط2، 1387-1968، ،ص 106.

تشمل اللغة العربية عددا كبيرا من الروابط الحجاجية ، ومن بينها نذكر : الواو، الفاء، لكن، بل، إذن، لعل، حتى، لاسيما، إذ، بما أن، مع ذلك ، ربما ، تقريبا ، إنما...

فإذا أخذنا المثال التالي:

زيد مجتهد، **إذن** سينجح في الامتحان[1].

فسنجد أنه يشتمل على حجة هي **زيد مجتهد** (ونتيجة) سينجح، والرابط الحجاجي (**إذن**) الذي يربط بينهما.

وقد ميز **أبو بكر العزاوي** بين أنماط عديدة من الروابط منها:

أ -الروابط المدرجة للحجج :حتى – بل – لكن – مع ذلك – لأن......

ب- الروابط المدرجة للنتائج :إذن – لهذا – وبالتالي.....

ج - الروابط التي تدرج حججا قوية :حتى – بل – لكن – لا سيما.......

د - روابط التعارض الحجاجي :بل – لكن – مع ذلك........

هـ - روابط التساوق"التتابع" الحجاجي :حتى – لا سيما......

السلم الحجاجي:

– يعرف السلم الحجاجي بأنه:" مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودّة بعلاقة ترتيبية ومستوفية للشرطين" التالين:

- كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته بحيث يلزم أن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

- كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه .

جعل طه عبد الرحمان للسلم الحجاجي، ثلاثة قوانين نذكر منها:

1- ينظر، الراضي رشيد : الحجاجيات اللسانية عند ديكرو وأنسكومبر، مجلة عالم الفكر-ع1 سبتمبر2005 -ص234

أ- **قانون الخفض:** ينتج قانون الخفض عن طريق النفي اللغوي، وقد صاغه بالتعريف التالي : "إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم الحجاجي فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها"[1].

ب – **قانون تبديل السلم:** يصوغه طه عبد الرحمان بهذا التعريف فيقول : "مقتضى هذا القانون أنه إذا كان القول دليلا على مدلول معين فإن دليل نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله[2]" .

جـ - **قانون القلب:** مقتضى هذا القانون الثالث أنه إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين، فإنه نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول[3] .

فنظرية السلالم الحجاجية تطرح تصور لعمل المحاججة، من حيث الخطاب الحجاجي والنتيجة التي يرمي إليها.

المبحث الثالث :البلاغة والحجاج:

ليس الحجاج علما أو فنا يوازي البلاغة، بل هو ترسانة من الأساليب والأدوات يتم اقتراضها من البلاغة(ومن غيرها، كالمنطق واللغة والعادية....)، ولذلك من اليسير الحديث عن اندماج الحجاج مع البلاغة في كثير من الأساليب، ولما كان مجال الحجاج هو المحتمل وغير المؤكد والمتوقع، فقد كان من مصلحة الخطاب الحجاجي أن يقوي طرحه بالاعتماد على الأساليب البلاغية والبيانية التي تظهر المعنى بطريقة أجلى وأرقع في النفس[4] .

1- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط 1، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء، 1998ص 275،274.
2 -بتصرف، أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ,دار الأحمدية للنشر , الدار البيضاء , الطبعة الأولى 1021 , ه 2441، ص30.
3- السابق،طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، ص 278،277.
4 -صابر حباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، ط 1، صفحات للدراسات والنشر، سورية دمشق 2008، ص -ب:3397، ص 50.

فهذا كله يمكن أن نقول، أن ليس هناك شيء يجعلنا نشك في دور البلاغة هذا الدور الفعال الذي يخاطب العقول بالدرجة الاولى، وذلك بتجسيد الأمور المعنوية في ماديات محسوسة حيث يتحقق هذا التجسيد عن طريق الوسائل البلاغية المختلفة أهمها الاستعارة، فالبلاغة على حد قول **جميل عبد المجيد** هي إذن:" الإبلاغ المفهم المؤثر إفهاما وتأثيرا من شرأنهما تحقيق الإقناع والإستمالة"[1] .

وتتمثل دور البلاغة في الحجاج **عند الزمخشري:**

استراتيجية التأثير والتمثيل:

وهو نمط يبني في الخطاب طاقة **استعارية** فيها **التصوير** و**التمثيل** و**التهويل والمبالغة والإغراء**، وتشتد الذات المتقلبة إلى وقع الخطاب فتقتنع ولعل هذا حاصل هوالذي جعل علماء الحجاج يقرون بالطاقات الحجاجية التي تحتوي عليها الأساليب البلاغية ذات قيمة تصويرية ينشط فيها الخيال وتعلو داخلها قيمة التمثيل.

صرح **الزمخشري** بأن علم البلاغة وخاصة علمي المعاني والبيان انهما علمين موصلين إلى كوامن اللفظ القرآني وأسرار الحرف الرباني، وهذا حسب الدور الذي يحققه وهو **الإقناع** الذي عقد الزمخشري عزمه على إصابته وإدراكه، وعليه أدرك أن في الحجاج بلاغة وفي البلاغة حجاجا[2]...

فالعلاقة بينهما علاقة إقناع وإستمالة العقول، وفي هذا السياق نذكر بعض التراكيب التي تتضمن طاقة إقناعية كـ: الإستفهام والتكرار والخبر والإنشاء....

الإستفهام:

هنا مثال يكشف عن استراتيجية في تقديم الحجج المبنية على الإستفهام، لكنه استفهام تقريري يقيم الحجة على الخصم وليس استفهاما من أجل حصول إجابات ونوصح ذلك في إحدى رسائل **الجاحظ**، ": جعلت فداك ليس من إختياري النخل على الزرع،

1 - جميل عبد المجيد، البلاغة والإتصال، دار الغريب للطباعة والنشروالتوزيع، القاهرة،0 200، ص 129.
2 - علي شعبان، الحجاج والحقيقة وآفاق التاويل، بحث في الأشكال والإستراتيجيات، دار الكتاب الجديدة، ط 1، 2010، ص334.

أقصيتني، ولا على ميلي إلى الصدقة دون إعطاء الخراج عاقبتني. ولا لبعض دفع الأتاوة والرضا بالجزية حرمتني ولست أدري لما كرهت قربي وهويت بعدي واستثقلت روحي ونفسي اِستطلت عمري، وأيام مقامي، ولما سرتك سيئتي ومصيبتي وساءتك حسنتي وسلامتي؟.

نعم سرك عزائي وتحملي بقدر ماسرك جزعي وتضجري وحتى تمنيت أن أخطئ عليك، فتجعل خطئي حجة لك في إبعادي، وكرهت صوابي فيك خوفا من أن تجعله ذريعة إلى تقريبي"[1].

أما ماجاء على لفظ الإستفهام في القرآن فإنما يقع في خطاب الله تعالى على معنى أن المخاطب عنده علم ذلك، الإثبات أو النفي الحاصل [2]، فالاثبات كقوله تعالى:"وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا" [3]، والنفي كقوله تعالى"هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورَا"[4]

كما يذكر **القاضي عبد الجبار** أن الإستفهام من الله لا بد أن يخرج عن معناه إلى أغراض أخرى من بينه:

--التنبيه على قدرة الله.

--النهي.

--الدعاء.

التكرار:

لتحقيق النتيجة الإقناعية تنوعت الأساليب الحجاجية باللغة وأسلوب التكرار، من بين هذه الأساليب التي أضفت دراسة القدماء والمحدثين الى أثره التوكيدي والإقناعي

1- الجاحظ، الرسائل، يشرح محمد باسل عيون السود، رسالة الجد والهزل، مج 2، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2000،ص 61.

2 - جمال حضري: المقاييس الأسلوبية في الدراسات القرآنية ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ط 1، ص269.

3 - سورة النساء، الآية 87.

4 - سورة الانسان، الآية 1.

مثاله تكرار الإستفهام الذي يستهدف إثارة الحوار والجدل وزعزعة القناعات السابقة، بغية إعادة تشكيلها[1] .

الخبر والإنشاء:

من أساليب تحقيق الإقناع من خلال المعاني والتضمينات التي يحيلها السياق، أما الخبر يقصد به إفادة المخاطب فهو أساس حمولة الإخبارية ومع ذلك فهو وسيلة تأثيرية متنوعة المقاصد[2].

إذا كانت البلاغة القديمة – سواء عربية أو غربية -قد تناولت قضية الحجاج إلا أنها لم تتناول أبعادها كلها حيث ثم الاكتفاء بالإشارة إلى مقامات السامعين والهيأة التي على الخطيب أن يكون عليها فقد دار تناول قضية الحجاج في الخطاب الشفوي المباشر ، أما الحجاج في الدرس البلاغي المعاصر فقد برز « ، الاهتمام به من خلال الحقلين النقدي واللساني خاصة والإنساني عامة وفي مجالي المشافهة والكتابة، وقد حصل هذا الإهتمام بعد الثورة التي عرفها الدرس اللغوي.

على الرغم من التنوع في الوظائف والمشاغل البلاغية، إلا أن" المظهر يظل من أبرز خصائص الفكر البلاغي L'aspect argumentatif الحجاجي عبر مراحله...[3]

1 - جمال الحضري، المقاييس الأسلوبية في الدراسات القرآنية، ص 267.
2- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص316.
3 - ايمان درنوني، ماجستير الحجاج في النص القرآني"سورة الأنبياء أنموذج"، جامعة الحاج لخضر'باتنة'، قسم اللغة العربية، 2013،2012،ص 20.

الفصل الثاني:الخطاب الحجاجي في القرآن.

المبحث الأول:الخطاب الحجاجي.

المبحث الثاني:سمات الخطاب الحجاجي.

المبحث الثالث:الخطاب الحجاجي بين المرسل والمرسل إليه.

المبحث الأول الخطاب الحجاجي:

مما لاشك فيه أن ليس كل خطاب بالضرورة يكون خطابا حجاجيا، فقد تكون نهاية خطاب ما ذاتية دون أن تهدف الى إقناع و تأثير في المتلقي، وبالتالي فهدف الخطاب ليس بحجاج حتى وإن كانت هناك تعابير حجاجية تأتي بشكل عرضي لا يكون هدفها حجة أوالإستدلال على موقف أو الدفاع عن أطروحة أو حمل الآخر على الإنخراط في عمل ما وهذاما يؤكده **"بلانتين":** من الشرع الإعتقاد أن الخطاب يكون لغاية حجاجية فقط ، فهناك الكثير من الأقوال نستعملها في شكل عمليات غير حجاجية"[1].

يتعدد الخطاب الحجاجي بتعدد الأهداف والأغراض المتوخاة منه فهناك الخطاب الإشهاري الذي في الغالب يهدف الى استمالة وجذب الزبون (السلعة المادية أو المعنوية) باعتبار الحجاج والإشهار بوصفهما عمليتين لسانيتين وعقليتين، تعتمدان مبدأ استمالة الآخر، وترويض مشاعره وفكره، تمهيدا لتعديل سلوكه ومواقفه العامة من الأشياء المادية والفكرية لرؤية العالم عنده، مع تبيان أنواع الحجج، وكيفية بنائها وترتيبها في الخطاب الإشهاري تحقيقا للترابط النصي وتفسير بنياتها[2]...

الخطاب يتصل بالحياة اليومية للفرد وذلك بالنظر الى قيمته الاجتماعية والأخلاقية والحضارية والتجارية والثقافية.....

الخطاب العلمي الذي يهدف إلى تبليغ الأفكار المختلفة عن طريق الشرح والتحليل وصولا إلى بيان والتبيين أو الافهام (الفهم والإفهام)، بلغة الجاحظ الذي حده بقوله :"والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجب دون الضمير، حتى يفضي السامع الى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ماكان ذلك البيان ومن أي جنس كان ذلك الدليل، لأن

---

[1] سامية دريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية الى القرن الثالث الهجر، عالم الكتب الحديث، الأردن ط 1، 2007، ص 24.

[2] ال خطاب الإشهاري والقيمة الحجاجية، www.google.com/search(لم يذكر صاحب المقال)تاريخ الزيارة 27،03،2015.

مدار الأمر والغاية التي اليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الأفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع"[1].

فالجاحظ بسط مفهوم البيان الذي يتحقق بواسطة الخطاب، بمختلف آلياته اللغوية المستعملة من طرف المرسل لإقناع المتلقي بها.

وهناك الخطاب الإعلامي، وغايته الإخبارأو "نشر معلومات (حقائق أو مبادئ أو مجادلات أو اشاعات أو انصاف حقائق أو أكاذيب) وفق اتجاه معين من جانب فرد معين أو جماعة في محاولة منظمة للتأثير في الرأي العام، وتغيير اتجاه الأفراد والجماعات باستخدام وسائل الإعلام والأتصال بالجماهير"، ويسعى الى تغيير في مواقف المتلقي وأفكاره[2].

على هذا النحو يمكن تعريف الخطاب الحجاج بكونه خطابا مترابطا متناغما يقوم على وحدة معينة لا تكون بالضرورة واضحة جلية بل قد تأتي على نحو خفي لا نكاد نلمحه، وضع لإقناع المتلقي بفكرة ما أو بحقيقة معينة عن طريق تقنيات مخصوصة وقد تتداخل الخطابات والنصوص فيما بينها، فنظفر في النص الواحد بما يعود إلى التحليل والرأي أو بما نرجعه إلى الحجاج والتوجيه ومجرد الإخبار؛ لذا فلا نزعم البتة أن هذا التفريغ قائم في واقع الخطابات أوالنصوص على نحو صارم دقيق إذ لا نجد صنفا واحدا من الأصناف المذكورة في شكله الخالص النقي بل كثيرا ما تتداخل، لذلك تقول **ماري جان بورال**" نحن لا نضبط حدود الخطابات كما نحد أرضا أو كما نفكك آلة فالمعايير والقواعد والضوابط التي تجليها الحيوية وحيوية الخطاب على وجه مخصوص لا تفرض عليه من الخارج أي من وجهة نظر لا تندرج هي ذاتها في حيويته تلك"[3].

1الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق درويش جويدي، لبنان ، المكتبة العصرية، 2001، ج1، ص56.؛

[2]محمد عرابي، البنية الحجاجية في قصة سيدنا موسى 'عليه السلام'،اشراف عبد الخالق رشيد، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية، 2008،2009.ص14.

[3]جليلة بنت سعيد بن سليم القاسمية، البعد الحجاجي في الأعمدة الأدبية (مجلة دبي الثقافية أنموذج)، رسالة مقدمة لإستكمال متطلبات الحصول على درجة ماجستير في اللغة العربية وآدابها تخصص : أدب حديث ، إشراف صلاح الدين بوهاج، جانفي 2016،سلطنة عمان جامعة نزوى كلية العلوم والآداب قسم اللغة العربية وآدابها، ص 54.

ويميز طه عبد الرحمان بين الخطاب الحجاجي وباقي الخطابات الأخرى "بكونه خطابا مبينيا موجها وهادفا، مبنيا بناءا استدلاليا يتم فيه اللجوء الى الحجة والإستدلال والمنطق والعقل وموجها مسبقا بظروف تداولية تدعو اليها إكراهات قولية أو اجتماعية أو ثقافية أو عملية أو علمية أو سياسية تتطلب الدفاع عن الرأي والإنتصار لفكرة وتتطلب نقاشا حجاجيا يلامس الحياة الإجتماعية أو المؤسساتية لهدف تعديل فكرة او نقل أطروحة أو جلب إعتقاد أو دفع انتقاد" (1).....

وعليه فمن خصائص الخطاب الحجاجي، هو إقناع المخاطب وإستمالته بالضرورة، ومن أهم الخصائص الأخرى هي:

خاصية البناء والديناميكية : إن فعالية الخطاب الحجاجي من طريقة بنائه وتفاعل ودينامية عناصره، فالاقتصاد في الأدلة الحجاجية له دور في عملية الاقناع، إذ المبالغة في سرد الحجج في غير مناسبة يفقد الحجاج فعاليته وقوته.

بمعنى تقديم الحجج المناسبة للموضوع، ويعتبر خطابا مبنيا تكون فيه الحجة والاستدلال والمنطق موجها بظروف تداولية أي الدفاع عن الرأي وهادفا لتعديل فكرة أو نقد أطروحة.

خاصية التفاعل : يبنى الحجاج على مبدأين معرفيين مبدأ الإعتراض يؤديان إلى اختلاف في الرأي أو في الدعوى، ويدفعان إلى الدخول في ممارسة الدفاع أو الإنتصار للدعوى وهذا ما يؤدي إلى تحقيق نوع من التجاوز المفترض للمتكلم والمخاطب، وقد ينشأ عنهما ازدواج في مختلف العمليات الحجاجية وهي (2):

أ-ازدواج التكلم:كان المستمع هو الذي يتكلم، أو كما لو كان المتكلم يحمل لسان المستمع.

ب- ازدواج في القصد: بمعنى حصول الوعي بالقصدين عند كل منهما.

---

[1] طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، ص226.

[2] عبد السلام عشير،عندما نتواصل، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، المغرب 2006،ص130.

ج-ازدواج في السياق: يتضمن كل من سياق انشاء القول وسياق التأويل على نصيب من الإزدواج فيما بينهما، ومن هنا فان اهمية التفاعل المباشرة وغير المباشر بين المتكلم والمستمع تكمن في ضرورة الالتزام بطبيعة المشتركة بينهما.

- **خاصية الالتباس :** الحجاج هو عمق الإلتباس الذي يشكل مقوما من مقومات التواصل البليغ، والأصل في الإلتباس الحجاجي هو أن يجتمع فيه اعتباران اثنان لا يجتمعان في البرهان هما: اعتبار الواقع واعتبار القيمة.

فالعبارة في الحجاج إذا اقتصرت على ظاهرها جاءت عادية أو عارضة في القول، بحيث لا يعيرها المستمع أدنى اهتمام، أما اذا حملت معها إشارات رمزية فانها ستحرك آليات الفهم والتأويل لدى المخاطب وتدفعه نحو اعتقاد ما[1].

ومن هنا يتضح أن حقيقة الخطاب ليست هي مجرد الدخول في علاقة مع الغير، وإنما هي الدخول معه فيها على مقاصد الإدعاء والإعتراض، وبالتالي فالعلاقة الإستدلالية هي التي تحدد الخطاب وليس العلاقة التخاطبية وحدها فلا خطاب بلا حجاج.

فالخطاب اليومي الذي يجري بين عامة الناس فيما بينهم من معاملات ونقل للمعلومات وتبادلها لا يكون هدفه تقديم الأدلة والحجج.

حيث يؤكد **بلونتانplantin** في قوله :" من التسرع الإعتقاد أن الخطاب يكون لغاية حجاجية فقط، فهناك كثير من الأقوال نستعملها في شكل عمليات غير حجاجية"[2].

ومن ناحية أخرى يمكن القول بأن الحجاج في ارتباطه بالمتلقي يؤدي الى حصول عمل ما أو الإعداد له من ثم سيكون فحص الخطابات الحجاجية المختلفة بحثا في صميم الأفعال الكلامية وأغراضها السياقية، وعلاقة الترابط بين الأقوال والتي تنتمي الى البنية اللغوية الحجاجية [3].

---

1 عشير عبد السلام، عندما نتواصل نغير ،131.
2 السابق، ص128.
3 بوقرة نعمان، نظرية الحجاج، مجلة الموقف الأدبي، إتحاد الكتاب العرب، دمشق العدد 407، 2005م،ص 1.

أي الغاية من الحجاج ان تقبل العقول التصديق مايطرح عليها، وذلك لا يتأتى الا بخطاب غير عقيم .

سمات الخطاب الحجاجي:

لكل خطاب سمات يميزه عن غيره، ولعل من أهم ماجاء في الخطاب الحجاجي من سمات وذلك حسب ما رصده **بنوا رونو benoit renaud** من خلال كتابه النص الحجاجي **le texte argumenté**هي كالآتي:

ـ القصد المعلن:

المقصود به البحث عن إحداث تأثير ما في المتلقي، أي اقناعه بفكرة معينة وهو ما يعبر عنه اللسانيون بالوظيفة الإحائية conative للكلام و قد أدرك رجال الإشهار أهمية هذا الأمر فنجحوا في استغلال هذا الشكل الناجح من أشكال التواصل [1].

ـ التناغم:

يعتبر من أهم سمات الخطاب الحجاجي، باعتباره خطاب مستدل عليه، " فهو يقوم على منطق ما في كل مرحلة من مراحله، ويوظف على نحو دقيق التسلسل الذي يحكم ما يحدثه الكلام من تأثيرات، سواء تعلق الأمر **بالفتنةl'envoutment**أو الإنفعال **l'émotion**، أو إحداث مجرد تقدم **progression** وهو ينم من هذا الوجه عن ذكاء صاحبه ويشي بمعرفته الدقيقة بنفسية المتلقي وقدراته وآفاقه "[2]، فهو خطاب مترابط ومتناغم....

ـ الإستدلال:

يعتبر الاستدلال سياق الخطاب الحجاجي العقلي أو تطوره المنطقي، لأن الخطاب الحجاجي يقوم على البرهنة لذا يتوجب أن يكون بناؤه على نظام معين تترابط فيه العناصر

---

[1] سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، ص 26.
[2] ينظر ،السابق، ص26.

وفق نسق تفاعلي، وتهدف جميعها الى غاية مشتركة، ومفتاح هذا النظام لساني بالأساس فاذا أعدنا الخطاب الحجاجي إلى أبسط صورة وجدناه ترتيبا عقليا للعناصر اللغوية ترتيبا يستجيب لنية الإقناع، وهو من أهم مراحل الحجاج...

ـ البرهنة:

هي الطريقة التي توظف فيها الحجج لحمل المتلقي على الإذعان، " واليها ترد الأمثلة والحجج وكل تقنيات الإقناع مرورا بأبلغ احصاء وأوضح استدلال وصولا الى ألطف فكرة وأنفذها"ويعبر به عن ما يريد بأدلة واضحة وفي صلب الموضوع [1].

ذكر **بنوا رونو** العديد من الصفات التي تميز **الخطاب الحجاجي،** إلا أنه توجد سمات أخرى تسهم في رصد حدود الخطاب الحجاجي وهل كالآتي:

ـ الحوار أو التحاورية:

يعتبر طه عبد الرحمان الحوارية من مسلمات القياس الخطابية ويرى أن مقتضاها:"أنه لا كلام مفيد الا بين اثنين، لكل منهما مقامان هما : مقام المتكلم ومقام المستمع ، ولكل مقام وظيفتان هما : وظيفة المعتقد ووظيفة المنتقد ، بحيث إذا كان متكلم معتقدا كان المستمع منتقدا، وإذا كان المستمع معتقدا كان المتكلم ناقدا".

الخطاب الحجاجي في كنهه حوار بين الباث والمتلقي، حوار يقوم على علاقة ما بين مؤسس الخطاب ومتلقيه، لأن " المحاور يتوجه الى غيره مطلعا اياه على ما يعتقد وما يعرف، ومطالبا إياه بمشاركته اعتقاداته ومعارفه، وفي هذا "الإطلاع "وهذه "المطالبة" يكمن البعد الاجتماعي للحوارية"[2] .

ومن ثم فإن الحوار لا يتم الا بوجود متخاطبين تجمع بينهم معارف في نفس المجال..

1 ينظر سامية دريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 27.
2 ينظر، السابق،ص 28،30.

ـ التخطيط :schématisation

وتتمثل في الإعداد سلفا لكيفية بناء النص الحجاجي وفق معايير معينة، فحينما نحتج"لموضوع ما أو لأطروحة معينة يعني أننا نرسم عن طريق الخطاب كونا مصغرا يمثل النموذج الأمثل لوضعية ما، لكن دون أن يعكس مقتضيات البناء العلمي مع الإعتماد أساسا على بعد حواري " وهذا ما نجده في الخطاب الإشهاري الذي يهدف الى إستمالة الزبون بغرض إقناعه بالعرض المقدم.

ـ الإنتقاء أو الإنتقائية :

تعتبر الإنتقائية مهمة في تحقيق الفاعلية الإقناعية، باعتبارها انتقاء لمكونات الخطاب، والتي ينتهجها المحاجج في بناء خطابه، وتتمثل في" انتقاء العناصر المكونة لهذا العالم بشكل دقيق وموجه أي بشكل يساير فيه تلك العناصر المنتقاة غاية الخطاب من جهة، وتلائم وضع المتلقي وقدراته وتستجيب خاصة لآفاق انتظاره من جهة أخرى"[(1)].

وعلى المحاجج الإنتقاء الدقيق للألفاظ لإقناع المتلقي وتأويله الصحيح.

ـ الغائية:

يعتبر خطابا غائيا، وهو ما توصل اليه "فينو جورج" من خلال كتابه "الحجاج محاولة في منطق الخطاب"1967، غير أنه ينفي أن يكون كل خطاب غائي حجاجيا بالضرورة، لأن هناك خطابات ذات غاية شخصية خاصة كالشعر، والمذكرات والسير الذاتية، وغيرها، أما على مستوى الخطابات الحجاجية فالأمر يختلف، لأنها تسعى الى الاقناع لا السرد او الابلاغ فقط ." فمن اهداف التي يرمي المرسل الى تحقيقها من خلال خطابه اقناع المرسل اليه بما يراه، أي احداث تغيير في الموقف الفكري او العاطفي "[(2)]. فالغاية من الحجاج الإقناع أو تعديل فكرة.

---

[1] سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم،31.
[2] السابق، ص32.

وهكذا فان الخطاب الحجاجي له سمات عديدة تميزه عن باقي الخطابات، لأنه يؤدي الى إقناع المخاطب بالخطاب.

الخطاب الحجاجي بين المرسل والمرسل إليه:

يتحقق الخطاب الحجاجي بين المرسل والمتلقي، وما يسهم في تحقيق أغراضه ، فهو يعرض حجة ما ويحتج لها احتجاجا : "قد يكون صارما دقيقا، وقد يفتقر أحيانا الى الصرامة والدقة المنشودتين، إنما يهدف الى إقناع المتلقي أو إغرائه أو حمله على الإذعان دون اقتناع حقيقي ، ونجاعة هذا الخطاب إنما تكمن في مدى قدرته على إقتحام عالم المتلقي وتغييره"[1].

يذهب برلمان الى أن الخطاب الحجاجي وهو يتخذ من إقناع المتلقي هدفا أساسيا، يبتعد عن كونه مجرد فك رموز بواسطة اللغة ليكون الفهم بل يقوم على الفعل في هذا المتلقي ويقتضي منه تأويلا محددا للخطاب وبهذا يكون الحجاج ناجحا والخطاب ناجعا لأنه تمكن من تغيير وضعية سابقة لدى المتلقي، ويخلص برلمان في هذا كله الى نتيجة أساسية مفادها أن العلاقة بين الباث والمتلقي ليست معطى كما هي عليه من وجهة نظر سكونية بل هي **"موجه"** يقود الخطاب في كل مراحله وهو ما يقترب كثيرا في نظرنا من النظرية البلاغية القديمة وتحديدا من حديث القدامى عن خصال الخطيب أو المتكلم عموما وأصناف المخاطبين ومقتضيات المقام حديثا تشعب ليورد كل مايخص الخطيب من وسائل مساعدة إبتداءا من هيئته وانتهاءً بثقافته أي العنصر المسرحي وعنصر الرصيد الثقافي المتنوع المحيط بالموضوع وهما العنصران المكملان لعنصر العبارة أو الأسلوب وعنصر المقام والأحوال.[2]

---

[1] ينظر، سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم،ص 32.
[2] ينظر،جليلة بنت سعيد بن سليم القاسمية، البعد الحجاجي في الأعمدة الأدبية (مجلة دبي الثقافية نموذجا)، ص57،58.

نتأكد من أن المتخاطبين ليسوا على درجة واحدة بل هم يختلفون في التفكير المعرفي والإجتماعي، لذا وجب التفاعل وإقامة الصلات فيما بينهم، " فقد يكون المرسل انسانا مركزا حول ذاته، ويعتقد أن ما هو بديهي وواضح بالنسبة له، هو كذلك بالنسبة للطرف الآخر،أو أن ماهو مقبول منه يحظى بالضرورة برضى الطرف الآخر، أو يظل في قوقعته لا يرى سوى جدرانها الداخلية مما يمنعه من تقدير وضع المستمع وحاجاته ومواقعه وتقديراجيدا حول مايتم الحوار بشأنه "[1].

ومن ذلك فالمجتمع وسيلة تواصل وتشارك بين المتخاطبين .

يحقق الخطاب الحجاجي غايته و مقبوليته لابد من توافر فيه جملة من الشروط هي بمثابة مقومات التناغم الضروري فيه، ثلاثة:

- القبول: LA RECEVABILITé

لكي يتم انخراط المتلقي في العالم الذي يرسمه الخطاب، فعلى الباث أن يضمن أولا عملية التلقي ذاتها، ولا يتم ذلك إلا إذا وجد المتلقي في الكلام شكلا مقبولا.

- مشابهة الحقيقة LA VAISEMBLENCE:

إن العالم المعروض في الخطاب ينبغي أن يكون متصورا، وأن تكون أشياءه قابلة للتحديد، وعلاقاته محتملة تطابق ما يحمله المتلقي من تصورات حول الواقع على مستوى الممكن والمستحيل[2].

---

[1] ينظر، أمحد عرابي، البنية الحجاجية في قصة سيدنا موسى عليه السلام، إشراف عبد الخالق رشيد، ماجستير في اللغة العربية 2008،2009، ص21، 22.

[2] السابق،بتصرف، ص23.

- الإقرارACCEPTABILIIE:

الغايات والمواضيع والقيم التي يرسمها الخطاب ويعتمدها، يمكن للمتلقي تحديدها في مقام أول ثم إقرارها والإقتداء بها في مقام ثان.

ـ وأخيرا فان تحقيق هدف الحجاج يرتهن بمدى الإئتلاف الثلاثي للعملية التواصلية، اذ يجب:

1- أن يكون الخطاب الحجاجي متسقا منسجما قائما على حجج متماسكة تدريجيا بغرض التأثير والإقناع.

2 ـعلى المرسل أن يكون ذا كفاءة إبلاغية تمكنه من حسن الإنتقاء وسلامة الاختبار للألفاظ والأفكار، وكذا التقنيات التي تمكنه من التعامل مع مختلف المتلقين على إختلاف مستوياتهم المعرفية والإجتماعية.

3 - أن يمتاز المتلقي باعتباره الحامل للخصائص الجماعية الكبرى التي يتقاطع فيها السواد الأعظم بفكر تأويلي يؤهله لتقصي مقاصد المرسل باعتباره المستهدف من الممارسة الحجاجية [(1)] .

يحتل المتلقي عنصرا هاما في النص القرآني، فقد إهتم القرآن بالمخاطب منذ نزوله فجاءت الآيات واضحة، لم تخرج عن نطاق العقل والحواس، وهما المصدران اللذان يستقي الإنسان معارفه، متوجها إليه إلى أقرب مدرك لديه وهو العقل، داعيا إياه بالتعقل والتدبر والتفكر، وذلك مانجده في الآيات القرآن الكريم أفلا يعقلون ، أفلا يتدبرون.

جعلت البلاغة حظا لها في القرآن وذلك للوظيفة التي شرفت بها في بلوغ نفس المتلقي والخضوع لها، مستعملة آليات ووسائل اقناعية، لذلك إرتقت إلى مستوى عال في القدرة على إستمالته والتأثير فيه، متسلحة بأسلوبين اثنين ، الإقناع والإمتاع.

---

[1] ينظر، أمحمد عرابي، البينة الحجاجية في قصة سيدنا موسى "عليه السلام"، ص22.

الفصل الثالث: مقاربة حجاجية في سورة يوسف.

المبحث الأول: الآليات البلاغية والأساليب الحجاجية في سورة يوسف.

المبحث الثاني: الأدوات اللغوية في السورة **.**

المبحث الثالث: العوامل الحجاجية.

المبحث الأول : الآليات البلاغية والأساليب الحجاجية في سورة يوسف.

تمهيد: التعريف بسورة يوسف:

سورة مكية انفردت بالحديث عن قصة سيدنا يوسف –عليه السلام- بن يعقوب، وما لاقاه من أنواع البلاء والشدائد وضروب المحن من إخوته والآخرين، في بيت عزيز مصر، وفي السجن بعد تآمر النسوة عليه حتى نجاه الله تعالى من ذلك الضيق[1].

السور المفتتحة بحروف"أَلَرَ"، عدد آياتها 111 آية، ترتيبها في القرآن 12، الجزء 12، والمتأمل في ذلك يرى أن رقم السورة والجزء الذي عين فيه يناظر عدد أبناء يعقوب –عليه السلام-، وقد ذكر إسم سيدنا يوسف 27مرة، 25 في سورة يوسف، ومرة في الأنعام وغافر[2].

- سبب النزول:

روى الكثير من المفسرين سبب نزول هذه السورة، ولعل من أهمها كون السورة الكريمة ذكرت في سياقها أن هناك سائلين عن قصة يوسف تجيبهم هذه السورة" وَلَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْسَائِلِينَ"[3]، وإن كان رواة أسباب النزول يميلون إلى كون السائلين في الآية عن قصة يوسف، ومن هنا فإنهم يروون عدة أخبار وروايات عن بني إسرائيل، أنهم سألوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم- عن قصة يوسف، ففي **الكشاف للزمخشري**:" أن يهود قالوا أن كبار المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر وعن قصة يوسف"، فنزلت السورة تروي هذه القصة، كما سألوه عن رجل كان بالشام فارقه ولده فبكى عليه حتى عميَّ.....ما خبره ومن يكون...؟، كما سألوه عن الكواكب التي وردت في السورة[4]....

1 - ينظر، محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار الجيل، بيروت،د- ت المجلد الثاني، ص30.
2 - ينظر، أحمد نوفل، سورة يوسف دراسة تحليلية، دار الفرقان، ط1409،1هـ،1989م، عمان الأردن ص 24، 25.
3 - سورة يوسف، الآية 7.
4 - ينظر، أحمد نوفل، سورة يوسف دراسة تحليلية، ص 33.

الأرجح والأصح في ذلك أنها نزلت بعد سورة هود على **الرسول صلى الله عليه وسلم**، في تلك الفترة العصيبة والحرجة من حياته، حيث توالت الشدائد والنكبات عليه وعلى المؤمنين، وبالأخص بعد أن فقد عليه السلام نصيريه، **زوجته خديجة، وعمه أبو طالب**، الذي كان له خير نصير وخير معين وبوافتهما اشتد البلاء والأذى على رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى عرف ذلك بعام الحزن[1].

كلها روايات إن دلت فانها تدل على سبب نزولها، حتى وان كانت بعض الروايات لا تصح، والمعمول عليه ما في النص القرآني من عموم أن في سورة آيات لكل السائلين عن الحكمة والعبرة والفهم والصراط السوي والهدى.

الوسائل البلاغية:

من أهم ماتميزت به هذه السورة من استعارة وطباق، وهذا ما أضفى نوعا من الإمتاع والتأثير، وهي حجاجية من حيث أنها تعبر عن الحجج بطريقة مركزة، مع جعلها أكثر تَأْثِيرا وإصابة، تضفي على النص إبداعا وإقناعا.

ويؤكد **عبد القادر الجرجاني** بفصل القول في المجاز ووظيفته الحجاجية، فنحن عندما نؤلف جملة فمن أجل أن نقول شيئا وأن نبني معنى، فالمجاز ليس مجرد وسيلة تزيينية إضافية، بل هو مكون أساسي في بناء المعنى، **فالتشبيه والتمثيل والإستعارة:"** أصول كبيرة كان جل محاسن الكلام-إن لم نقل كلها- متفرغة عنها، وراجعة إليها، وكأنها أقطاب تدور عليها المعاني في متصرفاتها وأقطار تحيط بها من جهاتها"[2].

وعليه فالمجاز يؤدي وظيفة إخبارية، نستطيع إثباتها أو نفيها، ومادامت كذلك فهي تؤدي وظيفة حجاجية.

1- السابق، أحمد نوفل، دراسة تحليلية،ص 34.

2- ينظر، عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، شرح محمد عبد المنعم الخفاجي وعبد العزيز شرف، دار الجيل بيروت، ط1411،1/ 1991،ص26.

أولاً- علم البيان:

- لغة: هو الكشف ، أي هو اسم لكل شيء كشف لك بيان المعنى، والإيضاح والظهور.

- اصطلاحا: هو أصول قواعد يعرف بها إيراد المعنى الواحد، بطرق مختلفة بعضها عن بعض، في وضوح الدلالة، العقلية على نفس ذلك المعنى"[1].

- المجـاز:

يعرفه **السيد الهاشمي:** "هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقة مع قرينة مانعة إرادة المعنى الوضعي" وهونوعان:

1 - المجاز اللغوي: وهو لا يهتم إلا بالكلمة المفردة اقتضتها اللغة دون غيرها، وهي لا ترقى إلى النوع الثاني.

2- المجاز العقلي: كما عرفه الأستاذ **السيد الهاشمي :"** الكلام المستعمل قصدا في غير معناها الأصلي لملاحظة علاقة غير المشابهة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الوضعي".

وقيل: "هو إسناد الفعل أو ما في معناه من إسم الفاعل، أو إسم المفعول أو مصدر إلى غير ماهو له، في الظاهر من المتكلم لعلاقة، مع قرينه تمنع من أن يكون الإسناد إلى ماهو له" [2].

- المجاز المرسل في السورة:

قوله تعالى:"واسْأَلِ القَرْيَةَ التِّي كُنَا فِيهَا وَالعِيرَالتِّي أَقْبَلْناَ فِيهَا وَاِنَّ لَصَادِقُونَ"[3]، وهنا مجاز مرسل، والمقصود منه إسأل أهل القرية التي كنا فيها وهي مصر، وإسأل أصحاب العير الذين كانوا معنا لجلب الطعام، وهذا المجاز مبالغ فيه لإزالة التهمة عليهم، لأنه كانوا مشكوكين فيهم، وذلك بسبب ما وقع ليوسف –عليه السلام-، علاقته محلية، مؤكدين قولهم بـ:"وَإِنَا لَصَّادِقُونَ" فيما أخبرناك به عن السرقة[4].

---

1 - ينظر السيد الهاشمي، جواهر البلاغة، ، دار الفكر، بيروت لبنان، ط1992،1،ص244.
2 - ينظر، السابق، ص 253.
3 - سورة يوسف، الآية82.
4 - ينظر وهبة زحيلي، التفسير المنيرفي العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، ط1، 1998/1418مـ، ج13، ص 44.

وهذا مجاز تضمن حجة الإخوة التأثير وإقناع الأب **"يعقوب عليه السلام"**، ببراءتهم من تهمة السرقة.

ـ المجاز العقلي:

ومثال ذلك: "وَجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ"[(1)]. أي مكذوب فيه، لأن الكذب من صفات الأقوال لا الأجسام، وهو دم مكذوب أي: دم أحد مواشيهم، وجاءت بصيغة المجاز العقلي لإيضاح مدى إفتراء وغش وكذب الأبناء على أبيهم[(2)].

وبهذا لو جاءت الآية على الحقيقة أي: القصد المراد ، لماأعطتنا دلالة عميقة، كما جاءت على صيغة المجاز.

ـ الكنـايـة:

يعرفونه بأنه: لفظ أريد به غير معناه الذي وضع له، مع جواز إرادة المعنى الأصلي لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته"[(3)].

عرفها **الجرجاني**، بقوله: "أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه"[(4)]، ومثال ذلك **قوله تعالى:** " اِقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اِطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَنَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ"[(5)].

والكناية في "يَخْلُوا لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ" كناية عن خلوص المحبته لهم، ويكون المراد يخلُ وجه أبيهم "إقباله عليهم واصطفاؤهم بالمحبة"، ولا يتأتى هذا إلا بإقباله بوجهه عليهم، وإقبال ـ يعقوب عليه السلام ـ بوجهه على أبنائه إخوة يوسف لازم لخلوص المحبة لهم، واشتغاله بهم،والهشاشة لهم، فيتوصل عن طريق اللازم وهو إقبال بالوجه عليهم إلى

1- سورة يوسف، الآية 18.
2- جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، الاتقان في علوم القرآن،مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت لبنان، ط11429هـ، 2007،ص 498.
3- الكناية وبلاغتهاhttp:/www.onefd. edu .dz
4- طاهر القحطاني، المعاني الثواني عند عبد القاهر الجرجاني من خلال: الكناية والإستعارة والتمثيل، مجلة كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية العدد 23،2000مـ، ص450.
5 - سورة يوسف، الآية 09.

الملزوم وهو خلوص المحبة، والوصول من خلوص الوجه الى نيل الرعاية والإهتمام الخاص بكم دون يوسف، ففيه إنتقال من اللازم الى الملزوم.(1)

ونمثل هذه الكناية على النحو الحجاجي التالي:

مقدمة ← النتيجة

اقتلو يوسف يخل وجه أبيكم

وكأن ذريعتهم لقتل يوسف توصل الى هدف واحد، وهو خلوص وصفاء حب يعقوب –عليه السلام- واقباله عليهم، وهذا ماهي الا حجة للإقتناع بقتل أخيهم.

و قوله تعالى: "قالُوا يَا أَبَانَا مَالَكَ لَا تَأْمَنَا عَلىَ يُوسُفَ وَإنَا لَهُ لَنَاصِحُونَ"(2) والكناية في **قوله تعالى:** "وَإنَا لَهُ لَنَاصِحُونَ": كناية عن الشفقة والحنان وزيادة، فنحن لا نحافظ عليه فحسب، بل سيكون محل رعايتنا وعطفنا، فالنصح مرحلة فوق الإشفاق والحب، بل فيها معنى الحنان والعطف والرحمة وزيادة، ناصح وشفيق " وَإنَا لَهُ لَنَاصِحُونَ"(3)

المقدمة ← النتيجة

مالك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون

فإن إجماعهم على التفرقة بين يوسف وأبيه جعلهم يزينون لسيدنا يعقوب –عليه السلام- قولهم بأن يستأمنهم عليه.

التشبيه:

لون من ألوان التعبير الأنيق تعمد إليه النفوس بالفطرة وهو من الصور البيانية التي لا تختص بجنس ولالغة لأنه من الخصائص الإنسانية.

---

1 - عمر محمد عمر باحاذق، الدلالة الإعجازية في رحاب سورة يوسف عليه السلام، دار المأمون للتراث، ط1، 1417هـ،1997مـ، دمشق،ص 74،75.
2 - سورة يوسف، الآية 11.
3 - السابق، ص 75.

التشبيه عند **إبن أثير في كتابه المثل السائر"** أن يثبت للمشبه حكم من أحكام المشبه به".

وعند **السكاكي** في **كتابه مفتاح العلوم:"** وصف الشيء بمشاركته المشبه به في أمر"[1]، ومثال ذلك في **قوله تعالى:"**فَلَمَا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَعْنَّ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلهِ أَنْ يَكُونَ هَذَا بَشَرَا إِنَّ هَذَا إِلَا مَلَكٌ كَرِيمٌ"[2] .

والتشبيه هنا تشبيه بليغ، يكمن في **قوله تعالى:"** إِنَّ هَذَا إِلاَ مَلِكٌ كَرِيمٌ"، هذا ماقالته النسوة **الأربعة** إذا صحت الأقوال وهن: زوجة الحاجب، وزوجة الساقي، وزوجة الخباز، وزوجة السجان، لما رأينه أكبرنه وشبهنه بالملائكة، فإن هذا الجمال الفائق والحسن الرائع مما لايكاد يوجد في البشر، فجمال يوسف وروعته نفين عنه البشرية لغرابة جماله وروعة حسنه[3].

الأقرب **عن الرازي:"**أن النسوة لما رأين عليه هيبة النبوة والرسالة وعلامة التطهر والعفة، نفين عنه آثار الشهوة البشرية والصفات الإنسانية، وأثبتن له طهر الملائكة"[4].

التشبيه في القرآن يعد من أهم الطرق الحجاجية، لإقناع المتلقي وإستمالته، ويمكن أن نعبرعلى ذلك بـالسلم الحجاجي التالي:

امتلاكه ـ عليه السلام ـ الجمال والكمال الملائكي

ـ إن هذا الا ملك كريم

ـ الحسن الملائكي

1- علوم البلاغة،http:/www.onefd. edu .dz.

2 - سورة يوسف، الآية 31.

3 - ينظر،الصابوني، صفوة التفاسير، ج12، ص46.

4- الرازي فخر الدين،التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط1، 1401هـ،1981مـ،ج18،ص 129.

وقوله تعالى:"وَيَتِمُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ".[1]

والتشبيه هنا: **"**كَمَا أَتَمَهَا عَلَى أَبَوَيْكَ**"،** روى **البخاري وأحمد** أن النبي –صلى الله عليه وسلم- قال:" الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم: يوسف إبن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم" ، وهذا التشبيه إثبات من الله عز وجل على أنه أتم نعمة النبوة على يوسف وجده إسحاق وجد أبيه إبراهيم، وخصهم بالشرف، **"**لأنه سبحانه وتعالى عليم بخلقه، وبمن يستحق الاجتباء والاصطفاء فهو أعلم حيث يجعل رسالته، حكيم في صنعه وتدبيره، بفعل الأشياء كما ينبغي**"**[2].

والتشبيه القرآني من أهم وسائل الحجاج في الإقناع فهو يوصل الفكرة بصورة واضحة جلية خالية من الشوائب، و يدرك المخاطب المقصود من خلال معرفة العلاقة بين المشبه والمشبه به.

ـ الإستـعـارة:

يعرف **عبد القادر الجرجاني** الإستعارة على أنها:**"** إعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصلا في الوضع اللغوي معروفا تدل على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في ذلك الأصل وينقله اليه نقلا غير لازم، فيكون هناك كالعاريه**"**[3]

أو هي: هي مجاز لغوي علاقته المشابهة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، أو هي تشبيه سكت عن أحد طرفيه، وذكر فيه الطرف الآخر، فالمتكلم يستعير لفظ المشبه ليستعمله للدلالة على المشبه ثم يرجعه إلى مجاله الأصلي[4]، ومثال ذلك في

1 - سورة يوسف، الآية 08.
2 - دحمان حياة، تجليات الحجاج في القرآن الكريم، ص 143.
3 - هبد القادر الجرجاني، أسرار البلاغة، ط2، ص27.
4- الأزهر الزناد، دروس في البلاغة العربية، -نحو رؤية جديدة-، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1992، ص59.

قوله تعالى:"إِذْ قَالَ يُوسُفَ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ إِنِي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَمْسَ وَالقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ" [1].

إذ شبهت النجوم والشمس والقمر بقوم مصلين، وحذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه، وهو" السجود"، ثم أضيف لازم المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة الدالة على الإستعمال المجازي في الإستعارة هي قرينة(السجود)، وهي قرينة تخييلية، إذ كيف يتصور السجود من الكواكب والشمس والقمر إلا على باب التخييل، ثم القرينة الأخرى وهي جمعهم جمع العقلاء بالضمير (هم) قرينة أخرى، والضمير(هم) ترشيح، والترشيح ذكر لازم من لوازم المشبه به[2].

"رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ" والسجود هنا الإنحناء الذي سببه الخضوع أو المبالغة في التعظيم[3].

ويمكن التمثيل له بالمسار الحجاجي التالي:

علو شأنه عليه السلام ورفعة مقامه مستقبلا

↑

— سجود العقلاء له

— "إِنِي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَمْسَ وَالقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ"

— السجود دلالة الاحترام والتعظيم .

وهناك وجه آخر يجعلها **إستعارة تصريحية:** ويكون الكلام، شبه الخنوع والخضوع بالسجود، ثم اشتق من السجود ساجد يمعنى خاضع على سبيل الإستعارة التصريحية، لأنه صرح بلفظ المشبه به " السجود" وتبعية لأنها جرت في المشتقات[4] .

---

1 - سورة يوسف، الآية04.
2 - عمر باحذق، الدلالة الإعجازية في رحاب سورة يوسف، ص74.
3 - ينظر، محمد رشيد رضا، تفسير سورة يوسف عليه السلام، صاحب المنار1865، 1935، مكتبة الوفاء، دار المنار، ط1، ص19.
4 - عمر محمد عمر باحاذق،الدلالة الإعجازية في رحاب سورة يوسف عليه السلام، ص74.

وقوله تعالى: "فَلَما سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَاِعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكَأً وَآَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِينَا وَقَالَتِ اِخْرُج عَلَيْهِنَّ فَلَمَا رَأَيْنَّهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَعْنَّ أَيْدِيَهُنَّ"(1)، والإستعارة في **قوله تعالى: "قَطَعْنَّ أَيْدِيَهُنَّ"**، حيث استعارة لفظ القطع للجرح- جرحن أيديهن-، فقد جرحن أيديهن بالسكاكين، ولم يشعرن بالألم لشغل قلوبهن بيوسف، ودهشتهن من جماله الرائع، وذلك مايفعله المعجب بالشيء الغريب والمثير(2).

إذن :أريد بالقطع الجرح، أطلق عليه القطع مجازا للمبالغة في شدته، حتى كأنه قطع قطعة من لحم اليد. فهذه الاستعارة – بما هي عليه من مبالغة – تجعل المتلقي يتصور موقف اندهاش النسوة حين رأين يوسف، فتقطيع الأيدي دون شعور دليل على الإنبهار والدهشة، والمجاز هنا فيه من الحجة ما يثبت ويقنع بأن يوسف في غاية الجمال والحسن والكمال،" فهو حقيق بأن يحب لجماله وكماله"(3).

وعليه فللإستعارة دور هام و مكون أساسي في بلورة وتأييد الخطاب الحجاجي في القرآن، فهو لا يعد مجرد أسلوب راق، وانما وسيلة اقناع وتفاعل وإبهار المتلقي والتأثير فيه.

ثانيًا. علم البديع:

- لغة: الطريف والعجيب والجديد المخترع لا على مثال سابق ولا احتذاء متقدم.

- اصطلاحا: علم يعرف به الوجوه والمزايا التي تكسب الكلام حسنا وقبولا بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال التي يورد فيها، ووضوح الدلالة(4).

وتنقسم **المحسنات البديعية** الى: محسن بديعي لفظي،وآخر معنوي...

أ- المحسنات اللفظية:"هو مارجعت وجوه تحسينه إلى اللفظ دون معنى، فلا يبقى الشكل إذا تغير اللفظ" .

---

1 - سورة يوسف، الآية31.
2 - وهبة الزحيلي، التفسير المنير، ص 251.
3 - دحمان حياة، تجليات الحجاج ي القرآن الكريم، سورة يوسف أنموذج،ص 145.
4 -http://elbassair.net/bouhouth/d1emsec/06tibakmok.pdf .

1 - الجناس: عرفه **السيد الهاشمي** بأنه:" تشابه اللفظتين في النطق وإختلافهما في المعنى"، ومثال ذلك في **قوله تعالى:** "وَقَالَ المَلِكُ اِئْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَا كَلَمَهُ قَالَ اِنَّكَ اليَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ"[(1)]

والجناس هنا : بين مكين وأمين، احتوت على كل منها على معنى مختلف في نسق الآية الكريمة وهو كما **قال تعالى**: "فلما كلمه"، أي عندما (كلم الملك يوسف، وعرف براءته وعظم أمانته قال له: إنك يا يوسف، "لدينا مكين أمين : أي متمكن مما أردت وأعرض لك من حاجة قبلنا ، لرفعة مكانك ، لدينا "أمين"، أؤتمنت عليه من شيء).[(2)]

مثال ثاني: **قال تعالى**: "وَتَوَلَى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفِي عَلَى يُوسُفَ"[(3)]، وهنا **جناس ناقص:** أسفي، يوسف، وسمي كذلك لعدم تطابق اللفظتين في النطق، وقد زاده جمالا وحلاوة وأكساه رونقا وبهاءا، فكانت كل هذه الخصائص اللفظية بعد مطابقة الكلام الذي يحمل الجناس لمقتضى الحال، لأن الأسف يعني الحزن الشديد وهذا المعنى ما يطابق حال يعقوب عليه السلام تماما، فلو استبدلنا لفظتا الجناس لإختلف التنغيم أولا ثم انحرف المعنى ثانيا[(4)].

2 – السجع:

يعرفه **أحمد الهاشمي** بأنه:"هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير، وأفضله ما تساوت فقره"[(5)].

وأما السجع في قوله **أحمد مطلوب** " تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد، والسجع من أوصاف البلاغة في موضعه وعند سماحة القول فيه وأن يكون في بعض الكلام لاجميعه، فإنه في الكلام كمثل القافية في الشعر، وإن كانت القافية غير مستغنى عنها في الشعر القديم والسجع مستغنى عنه[(6)].

---

1 - سورة يوسف، الآية54.
2 - جاسم غالي الرومي المالكي، الجناس الصوتي وأثره في سورة يوسف عليه السلام، جامعة البصرة –مركز دراسات الخليج العربي ، مجلة البصرة /العدد 45 لسنة 2008،ص 44.
3 - سورة يوسف، الآية84.
4 - عزوز سطوف، بلاغة مقام القص القرآني سورة يوسف انموذج،ص 137.
5- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 326.
6- أحمد مطلوب، فنون بلاغية البيان –البديع، دار البحوث العلمية الكويت، 1975م، ط1، ص244.

ومثال ذلك في **قوله تعالى**: " قَالُوا يَا أَبَانَا لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَا لَهُ لَنَاصِحُونَ، أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَلْعَبْ وَيَرْتَعْ وَإِنَا لَهُ لَحَافِظُونَ، قَالَ إِنَني لَيُحْزِنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ لَغَافِلُونَ"[1]

فتوافق الفواصل في كل آية جعل لها، نغما موسيقيا تطرب اليه الأذن، كما يؤدي الى حركة ذهنية تثير الإنتباه عن طريق الاختلاف في المعنى، ويزداد الجناس جمالا اذ إبتعد عَن التكلف.

ب - المحسنات المعنوية:

تعريفها: "هو الذي وجبت فيه رعاية المعنى دون اللفظ فيبقى مع تغير الألفاظ"، وفي مصطلح البلاغة المحسنات المعنوية هي التي تكون التحسين بها راجعا إلى اللفظ أصالة وإن حسنت المعنى أحيانا تبعا لكنه غير مقصود، لذلك أن المحسنات المعنوية هي ما قصد بها تحسين المعنى أولا، وإن تبعه تحسين اللفظية.[2]

1 - الطباق:

"هو الجمع بين الشيء وضده في الكلام"[3]، وبتعبير آخر هو:" الجمع بين الشيء وضده في جزء من الأجزاء الرسالة أو الخطبة أوبيت من بيوت الشعر"[4].

قال تعالى: "وَقَالَ لِلَذِي ظَنَّ أَنَهُ نَاجٍ مِنْهُمَا أُذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِكَ فَأَنْسَاهُ الشَيْطَانُ ذِكْرَ رَبِهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ "[5].

والطباق في قوله تعالى أذكرني، فأنساه، فهما كلمتان متضادتان في المعنى وهذا ما أكسبهما قوة وجزالة، فظهر لنا مدى الأسى الذي شعر به يوسف عليه السلام عندما علم أن الذي عول عليه أن يذكر له مظلمته عند الملك نساه،وشتان بين الوضعيتين الذكر والنسيان.

---

1 - سورة يوسف، الآية11الى 13.

2 - http://media.tafsir.net/ar/books//6926.pdf .

3 -تعريف بعض المصطلحات الأدبية، http://myschool.co.il/upload/upload/2011/3/05032011.

4 -أبو الهلال العسكري، كتاب الصناعتين،ص 316.

5 - سورة يوسف،الآية 42.

وفي قوله تعالى:"وَقَالَ المَلِكُ إنِي رَأَيْتُ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعُ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخْرَى يَابِسَاتٍ"[1]، والطباق هنا في المعاني المتضادة: سمان وعجاف، خضر ويابسات.

وعليه فحجاجية الطباق هنا تتجلى في إثبات قدرة يوسف –عليه السلام-على تفسير وتأويل هذه الرموز الغامضة(عجاف، سمان/خضر، يابسات)في منام الملك، وهي من وحي الله وإلهامه، وتلك معجزة تدل على صدق نبوة سيدنا يوسف -عليه السلام-.[2]

2 ـ المقابلة:

عرفها **السكاكي:** "المقابلة بأن تجمع بين شيئين فأكثر، وتقابل بالأضداد، ثم إذا شرط هنا شرطت هناك ضده"، **والخطيب القزويني**: هي أن يؤتى بمعنين متوافقين، أو أكثر، ثم بما يقابل ذلك على الترتيب"[3]، وذلك في **قوله تعالى:"** يَا صَاحِبِيَ السِجْنُ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الوَاحِدُ القَهَارُ"[4].

والمقابلة هنا تكمن في تقابل أجزاء العبارة الثانية، "أأرباب" تقابل "الله" و"متفرقون" تقابل "الواحد".

صرح العلامة **صفي الدين الحلي**: بأن محاسن البديع يعرف بها كما يعرف بغيرها من ألوان المعاني والبيان ومسائلهما، وجه إعجاز القرآن الكريم، وذلك في قوله: "لا سبيل إلى فهم القرآن الكريم ومعرفة حقائقه، إلا بمعرفة علم البلاغة وتوابعها من محاسن البديع، اللتين بهما يعرف وجه إعجاز القرآن وصحة نبوة محمد بالدليل والبرهان"[5].

فالبديع له دور في إبراز الفروق بين المتضادين، وهو لا يقل شأنا ومنزلة عن علم البيان، وهو سر إعجاز القرآن الكريم عظمته.

---

1 - سورة يوسف الآية46.
2 - وهبة الزحيلي، التفسير المنير، ص279.
3 - منتدى اللغة العربية والبلاغة، http://www.sunnti.com/vb/showthread.php?t=14313.
4 - سورة يوسف،الآية39.
5 - المكتبة الشاملة، البلاغة، البيان والبديع، http://shamela.ws/browse.php/book-11200/page-15303#page-

ثالثاً -علم المعاني:

وهو العلم الذي يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال، وهو أصول وقواعد يعرف بها أحوال الكلام العربي التي يكون مطابقا لمقاضى الحال، بحيث يكون وفق الغرض الذي سيق له.

وذكاء المخاطب حال يقتضي إيجاز القول، فإذا أوجزت في خطابه كان كلامك مطابقا لمقتضى الحال ،وغباوته حال تقتضي الإطناب والإطالة، فإذا جاء كلامك في مخاطبته مطنبا: فهو مطابق لمقتضى الحال، ويكون كلامك في الحالتين بليغا، ولو أنك عكست لنفت من كلامك صفة البلاغة[1].

ويعرفه **السكاكي**: "إعلم أن علم المعاني هو تتبع تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الإستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها من الخطَئِ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره، وأعني بتركيب الكلام الصادرة عمن له فضل التمييز ومعرفة وهو تركيب البلغاء لا الصادرة عمن سواهم لنزولهما في صناعة منزلة الأصوات حيوانات تصدر عن محالها بحسب ما إتفق"[2].

1- الخبر:

كلام يحتمل الصدق أو الكذب لذاته بقطع النظر عن خصوص قائله، ويتحقق مدلوله في الواقع بدون النطق به، والخبر عند البلاغيين "ما يصح أن يقال لقائله أنه صادق فيه أو كاذب، فإن كان الكلام مطابقاً للواقع كان قائله صادقاً، وإن كان غير مطابق له كان قائله كاذبا.[3]

1 - علي بن نايف الشحود، الخلاصة في علوم البلاغة http://www.shamela.ws.
2 -السكاكي، مفتاح العلوم،ص 248،247.
3 - عتيق عبد العزيز، علم المعاني والبيان والبديع، ص43.

ومن أمثلة هذا الخبر:

في **قوله تعالى**:**"**إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشرَكَوْكَبًا وَالشَمْسَ والقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**"**(1)، فساق الله تعالى في هذه الآية خبرا **لمحمد -**صلى الله عليه وسلم- يتمثل في رؤيا رآها يوسف عليه السلام، وقلنا أن غرض الخبر في هذه الآية هو فائدة الخبر لأن محمد صلى الله عليه وسلم، لم يطلع من قبل على رؤيا يوسف عليه السلام، ولم يعلمها من أي طريق(2)، وما يؤيد هذا القول تعالى في الآية التي سبقتها:**"**وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلُ لَمِنَ الغَافِلِينَ**"**(3).

وهنا المخاطب غير مباشر، أما عن المخاطب المباشر وهو أبو يوسف عليهما السلام فنفس الغرض يفيد هذا الخبر، لأن يعقوب عليه السلام كان جاهلا برؤيا يوسف لأنها رؤيا خاصة بالأحلام.

2- الإنشاء : - لغة: الإيجاد.

-إصطلاحا: مالا يحتمل صدقا ولا كذبا، كالأمر والنهي والإستفهام والتمني والنداء وغيرها، فإنك إذا قلت: اللهم أرحمني لا يصح أن يقال لك: صادق أوكاذب، نعم يصح ذلك بالنسبة إلى خبر الضمني المستفاد من الكلام، وهو أنك طالب للمغفرة.(4)

وينقسم إلى:

-الإنشاء غير الطلبي:**"** هو ما لا يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب ويكون بصيغ المدح والذم، وصيغ العقود والقسم والتعجب والرجاء، وكذا رب ولعل، وكم الخبرية **"**.

- الإنشاء الطلبي: "هو الذي يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، حسب اعتقاد المتكلم وهو المبحوث عنه في علم المعاني، لما فيه من اللطائف البلاغية**"**(5) .

---

1 - سورة يوسف، الآية 04.
2 - عزوز سطوف، بلاغة مقام القص القرآني سورة يوسف أنموذج، ص111.
3 - سورة يوسف، الآية 03.
4 - الإنشاء، تعريف الإنشاء، أقسام الإنشاء، http://forum.al-rsalah.com/t68293.html.
5- السابق، أحمد الهاشمي،جواهر البلاغة،ص 62.

وهو خمسة أقسام، نذكر منها:

1- الأمر:

اللغة: الأمر الشأن وجمعه أمور، ومصدره أَمَرْتُهُ اذا كلفته أن يفعل شيئا، وهو لفظ عام للأفعال والأقوال كلها[1]، وعلى ذلك قوله تعالى، **"إِلَيْهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ"**[2].

اصطلاحا: تحدث عنه البلاغيين ، **قال السكاكي:"** للأمر حرف واحد وهو لام الجزم في قولك: ليفعل، وصيغ مخصوصة في علم الصرف، وعدة أسماء ذكرت في علم النحو**"**[3]

القزويني:" فلم يخرج عما قاله **السكاكي**، بقوله" والأظهر أن صيغته المقترنة باللام نحو، ليحضر زيد وغيرها، نحو أكرم عمرا ورويدا بكرا، موضوعة لطلب الفعل استعلاءا، ليتبادر الذهن عند سماعها الى ذلك، وتوقف ما سواه على القرينة **"**[4].

والمثال ذلك:

قوله تعالى: "وَقَالَ الذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِإمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَخِذَهُ وَلَدَا وَكَذَلِكَ مَكَنَا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**"**[5]، خاطب زوجته بأسلوب أمر حقيقي يستدعي الوجوب بأن تجعل إقامته عندها كريمة، أي كاملة في نوعها، وأراد أن يجعل الإحسان إليه سببا في إجتلاب محبته إياهما، ونصحه لما ينفعهما، أو ليتخذانه ولدا فيبر بهما [6].

و**قال تعالى:"** وَرَاوَدَتْهُ التِي هِيَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَهُ رَبِي أَحْسَنَ مَثْوَايَّ إِنَهُ لَا يُفْلِحُ الظَالِمُونَ**"**[7].

---

1 - أبو قاسم حسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح نزار مصطفى الباز ، ج1، مكتبة نزار مصطفى الباز،ص 30.
2 - سورة هود، الآية123.
3 - السكاكي، مفتاح العلوم،تح نعيم زرزور، دار الكتب العلمية-بيروت – لبنان، ط1403،1هـ 1983مـ، ص318.
4 -الخطيب القزويني، الايضاح في علوم البلاغة، تح محمد عبد المنعم خفاجي، ص241.
5 - سورة يوسف، الآية 21.
6 - أحمد فتحي رمضان، اسلوب الامر في سورة يوسف عليه السلام، آداب الرافدين العدد60، 1432هـ،2011مـ، ص09.
7 - سورة يوسف، الآية23.

ورد إسم فعل مرة واحدة في هذه الآية الكريمة بلفظت"هيت" قال الكسائي والفراء أنها لغة حورانية وقعت على أهل الحجاز، فتكلموا بها ومعناها"تعال" أو "أسرع"وإن وردت فيها كلمات مختلفة فالمعنى لا يخرج عن الإقبال والحث على الفعل(1).

2- الإستفهام:"هو طلب العلم بالشيء لم يكن معلوما من قبل"(2).

وأدواته : الهمزة، وهل، وما، ومتى، وأيان، وكيف، وأين، وكم، وأي، ومثال ذلك في **قوله تعالى**: " يَا صَاحِبيَ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ أَمِ اللهُ الوَاحِدُ القَهَارُ "(3).

وهنا قدم يوسف -عليه السلام- دعوة الى توحيد خالص القائم على الإعتراف بإلاه واحد ورب واحد، وأبطل تعدد الآلهة، وهذا هو مبدأ الأنبياء في الدعوة يحبطون عبادة الأوثان، ويقيمون الأدلة العقلية على وجود الله ووحدانيته(4).

فخرج هذا الإستفهام عن غرضه الأصلي وهو طلب العلم الى غرض "التقرير" لأن يوسف –عليه السلام- يعتقد اعتقادا جازما بأن هناك ربا واحدا، فأراد بسؤاله لصاحبي السجن تقرير هذه الحقيقة التي يعتقدها(5).

3-النداء:

"طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف نائب مناب: أنادي المنقول من الخبر إلى الإنشاء"(6)، قال **المخزومي:** "النداء تنبيه المنادى وحمله على الإلتفات، ويعبر عن هذا المعنى أدوات استعملت لهذا الغرض"(7).

ومثال ذلك في **قوله تعالى**: "يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ"(8) معنى(النداء) فيما لا يعقل تنبيه المخاطب وتوكيد القصة، فإذا قلت: يا عجبا، فكأنك قلت: /أعجبوا، وفي الآية كأنه قال:أبشروا ، **وقوله تعالى**:"إِذْ قَالَ يُوسُفَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَة كَوْكَبًا وَالشَمْسَ

1- السابق،حمد فتحي رمضان، أسلوب الأمر،ص13.
2- السابق، احمد الهاشمي، جزاهر البلاغة، ص 71.
3 - سورة يوسف، الآية39.
4- السابق، وهبة الزحيلي، التفسير المنير، ص265.
5 - السابق،عزوز سطوف،بلاغة سورة يوسف،ص39.
6 - السابق،أحمد الهاشمي، أسرار البلاغة، ص88.
7 - مهدي المخزومي، في النحو العربي تقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت لبنان، ط2، 1986م،ص301.
8 -سورة يوسف،الآية19.

وَالقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ"[1] فنادى يوسف عليه السلام أباه ليخبره برؤياه التي رآها في منامه، وإستعمل المنادى حرف نداء البعيد بالرغم من قرب المنادى منه وذلك لأمرين، الأول: لعلو شأن المنادى عند المنادى، وهذا ظاهر هنا لأن الإبن ينادي أباه فيجب أن يوقره ويحترمه ويبره فيراعي حقوق الأبوة فيه [2].

ـ المبحث الثاني: الأدوات اللغوية في سورة يوسف:

هي الأدوات التي تقيم العلاقات بين الحجج والنتائج، أي أنها تعين المتكلم على تقديم حججه في صورة تناسب المقام أو السياق الذي هو فيه، وتصله إلى غرضه من طرح الخطاب على ذلك المتلقي[3].

وتعد الوسائل والأدوات اللغوية في كل خطاب، وفي الخطاب القرآني بالخصوص، من الوسائل الحجاجية الأفضل لتحقيق الإقناع والتصديق بما جاء فيه.ويمكن رصد أهم هذه الأدوات اللغوية فيما يلي:

1-الروابط الحجاجية : تضطلع بعض الأدوات اللغوية بدور حجاجي، يتمثل في "الربط بين قضيتين وترتيب درجاتها بوصف هذه القضايا حججا في الخطاب"، من بينها (لكن، بل،حتى، إذن، لأن، بما، أن....) ، وتقوم بالربط بين قولين فأكثر، ضمن هدف إقناعي واحد، ولكل رابط سمة حجاجية نضبطها أثناء الإستعمال[4].

لكن:

حرف مشبه بالفعل، من أخوات (إن) ، يدخل على الجملة الإسمية، فينصب المبتدأ ويصبح إسما له، ويرفع الخبر ويكون خبرا له، وتفيد(لكن) معنى الاستدراك، وهو" تعقيب الكلام برفع ما يتوهم ثبوته أو نفيه[5].

---

1 - سورة يوسف، الآية04.
2 - السابق، عزوز سطوف،بلاغة سورة يوسف،ص119.
3 - السابق،بتصرف، عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجية الخطاب ، ص 477.
4 - السابق، بتصرف،ص508.
5 - جمال الدين بن يوسف ين هشام الأنصاري، شرح قطر الندى وبل صدى، تح محي الدين عبد الحميد، الشركة المتحدة للتوزيع، القاهرة، مصر، ط1983،11م،ص148.

هي أداة حجاجية تربط بين قولين متفاوتين في القوة، وهي تفيد الإستدراك، وهو "تعقيب الكلام بإزالة بعض الخواطر والأوهام التي ترد على الذهن بسببه،وهو يقتضي أن يكون مابعد أداة الاستدراك مخالفا لما قبلها في الحكم المعنوي"(1)، فاستعمال أداة الاستدراك "لكن" يكون من أجل إزالة الوهم وإبعاده ، ومثال ذلك في **قوله تعالى**: "وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي ابْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَاكَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ"(2).

يؤكد يوسف -عليه السلام- أنه قد اتبع ملة آبائه والمرسلين'ابراهيم واسحاق ويعقوب'الذين يدعون الى التوحيد، وانه قد هجر طريق الكفر والإلحاد.

ثم قرر منهج الأنبياء بصفة عامة، فقال :ما صح لنا وما ينبغي لنا معشر الأنبياء أن نشرك بالله أي شيء كان ...ذلك التوحيد الذي هدانا به إلى الإقرار بوجوده وتوحيده في ربوبيته وألوهيته، وعلى الناس بإرسالنا إليهم ننبههم ونرشدهم إلى الصواب، ونبعدهم عن طريق الضلال(3).

وعليه أتى بلكن الحجاجية لإستدراك القول في "ولكن أكثر الناس لا يشكرون" للتصريح بأن حال المخاطبين في إشراكهم حال من يكفر نعمة الله، لأن إرسال الهداة نعمة ينبغي أن ينظر الناس فيها فيعلموا أن ما يدعونهم إليه خير وإنقاذ لهم من الإنحطاط في الدنيا والعذاب في الآخرة، ولأن الإعراض عن النظر في أدلة صدق الرسل كفر بنعمة العقل والنظر(4)، و"لكن" جاءت هنا لتوضيح نتيجة المتمثلة في أعراض الناس عن شكر الله والشرك به والكفر نعمه.

1 - عباس حسن، النحو الوافي، دارالمعارف بصر، ط4، ج 3، ص 616.
2 - سورة يوسف، الآية38.
3 - السابق،وهبة الزحيلي، التفسير المنير،ص264.
4 - السابق،ابن عاشور، التحرير والتنوير،ص274،273.

بل:

وهي أداة ربط بين قولين، ومعناها "الإضراب عن الأول وإثبات الثاني"ويتحدد دورها في الربط نفيا أو ايجابا حسب السياق الذي ترد فيه، فهي تأتي " لتدارك الكلام غلط فيه...وتكون لترك شيء من الكلام وأخذ غيره"[1].

وذلك في **قوله تعالى**: "وَجَاؤُوا أَبَاهُمْ عِشَاءَا يَبْكُونَ، قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نُسَابِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَا صَادِقِينَ، وَجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسَكُم أَمْرًا فَصَبَرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ المُسْتَعَانُ عَلَى مَاتَصِفُونَ"[2].

ويقدم الرابط بل هنا علاقة حجاجية مركبة من علاقتين حجاجيتين:

وهي العلاقة بين الحجة وهي - إتيان إخوة يوسف بقميص ملطخ بالدم وهم يبكون - وذلك لنتيجة، ألا وهي:إقناع النبي يعقوب عليه السلام، بصدقهم في قضية أكل الذئب ليوسف، ورغم إحساسهم بضعف الحجة والمتبين في قولهم(ولو كنا صادقين)، أي و لوكنا عندك من أهل الثقة والصدق ما صدقتنا[3].

فهذا الرابط يوجد تعارضا بين ما يقدمه وما يتبعه، من خلال التلفظ ولذلك يقدم المتكلم الحجة الثانية بوصفها الحجة الأقوى (بل سولت لكم أنفسكم أمرا)، لأنها توجه الخطاب أو القول برمته، وهي إبطال دعواهم أن الذئب قد أكله، وهنا قدم لهم وصرح لهم بكذبتهم بحجة التسويل، وهو تزيين النفس لكي تحصل على مرادها.

- حتى:

وهي من الأدوات السلم الحجاجي "حتى" حيث يمكن دورها في ترتيب عناصر القول، ويفهم معناها من السياق الذي ترد فيه، ومن أقسامها: **"حتى الجارة"** وتفيد اِنتهاء الغاية، وهناك شروط لمجرورها "الأول: أن يكون ظاهرا....والثاني: أن يكون آخر جزء أو ملاقي آخر جزء[4].

1- أبو العباس محمدبن يزيد المبرد،المقتضب في اللغة،مكتبة المشكاة الاسلامية، ج1،ص 35.
2- سورة يوسف، الآية18،17،16.
3- السابق، وهبة الزحيلي، التفسير المنير،ص227.
4 - بتصرف، ابن أم قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني http://www.islamicbook.ws ،ص127.

-**"حتى العاطفة"** فهي تعطف الأسماء فقط، كقولك:"أكلت السمكة حتى رأسها"، أي أكلت السمكة ورأسها أيضا، ومثال ذلك في **قوله تعالى**: " ثُمَ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدُ مَا رَأَوْا الآيَاتِ لَيَّسْجُنَنَهُ حَتَى حِينٍ"[1]، حتى في الآية حرف جر، يجر الإسم الظاهر (أي لايجر الضمير)، ومعناها انتهاء الغاية، أي: ليسجننه إلى حين، **قال تعالى**: "قَالُو تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَى تَكُونَ حَرَضًا، أَوْ تَكُونَ مِنَ الهَالِكِينَ"[2]، عندما شاهد أبناء يعقوب -عليه السلام –ماحدث لأبيهم، فشفقوا عليه وقالو له : والله لازلت تذكر يوسف حتى تكون مريضا ضعيف القوة، أو تموت، إن استمر بك الحال هكذا[3].

وهنا تأتي وظيفة الرابط (حتى) حيث يسوق الحجج وهي " :إما المرض المضعف للقوة وإما الهلاك والموت، وهذا أمر واقعي، مطابق لأحوال الناس، ومقصودهم الإنكار عليه صدا له عن مداومة ذكر يوسف– عليه السلام -على لسانه، لأن ذكره باللسان يفضي إلى دوام حضوره في ذهنه[4].

الواو:

يستعمل الواو حجاجيا وذلك بترتيبه للحجج ووصل بعضها ببعض، بل وتقوي كل حجة منها الأخرى، وتعمل على الربط النسقي أفقيا على عكس السلم الحجاجي، **قوله تعالى**: "وَرَاوَدْتُهُ التِّي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَت هَيْتَ لَكَ"[5]، لقد جمعت الواو بين ثلاث حجج: الأولى: المراودة، والمراد هنا "تحايل امرأة العزيز على يوسف لإغوائه بالفاحشة، لكنها لم تجد منه قبولا، ثم إحكام إغلاق الأبواب ، والثالثة: دعوت يوسف لنفسها بقوله: هيت لك، أي: أقبل[6].

---

1 - سورة يوسف، الآيةالآية35.
2 - سورة يوسف، الآية85.
3 - السابق وهبة الزحيلي، التفسير المنير،ج13 ص46.
4 - نفسه بتصرف.
5 - سورة يوسف، الآية23.
6 - ينظر، عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتجيات الخطاب، ص472.

وهذه الحجج جاءت مترابطة متناسقة متلاحقة، لنصل الى نتيجة مراودة زليخة ليوسف عليه السلام .

الفاء:

وهو يحقق الإنسجام الحجاجي في ترتيب النتائج، إذ من معانيها الترتيب والتعقيب، **قال سيبويه** "هي تضم الشيء إلى الشيء كما فعلت الواو غير أنها تجعل ذلك متسقا بعضه في أثر بعض، وذلك قولك: مررت بعمرو فزيد فخالد، وسقط المطر بمكان كذا وكذا فمكان كذا وكذا"[1]. **ومثال ذلك في** قوله تعالى: "فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَ إنَهُ هُوَ السَمِيعُ العَلِيمُ "[2]، لأن إمرأة العزيز ظلت تحاول فتنته وهو يمتنع، حتى يئست من ذلك، وصرف الله عنه كيدها، "إنه هو السميع" لدعاء يوسف، ودعاء كل من دعاه، "العليم" بحاجة يوسف اليه، ونيته الصادقة في الاعتصام به من المعاصي[3].

وفي الآية كريمة هناك حجتان مترابطتان بالفاء، الأولى: الإستجابة (استجابة الله لدعاء يوسف عليه السلام)، والثانية: أقوى من الأولى أن الله نجاه من كيد النسوة، والحجتان "دليل على حراسة ربه له وعنايته به[4].

أداة الشرط:

يعرف الشرط بأنه "أسلوب لغوي يبنى- بالتحليل- على جزئين الأول منزل بمنزلة السبب، يتحقق الثاني إذا تحقق الأول، وينعدم الثاني إذا انعدم الأول، وجود الشيء المعلق على وجود الأول".

أمَّا: حرف شرط وتفصيل وتوكيد، ودليل شرطيهما لزوم الفاء بعدها، كما تنوب أما عن أداة الشرط وفعل الشرط معا بعد حذفهما،فهي بمعنى "مهما يكن من شيء"[5]..

---

1 - خالد اسماعيل صاحب المديرية العانة للتربية في محافظة ذي قار، الطرائق الحجاجية النحوية في الخطابة السياسية، مجلة كلية التربة للعلوم الانسانية/ جامعة ذي قار،المجلد الخامس،العدد الأول،آذار2015، ص 161.
2 - سورة يوسف، الآية34.
3 - رامي حنفي محمود، تفسير سورة يوسف كاملة، شبكة الألوكة. www.Aluka. Net .
4 - السابق،وهبة الزحيلي، التفسير المنير،مجلد 6،ص275..
5 - مهدي المخزومي، في النحو العربي، نقد وتوجيه، دار الراشد العربي بيروت لبنان، ط2، 1406هـ 1987م، ص248.

وفي الحجج تمثل **أمّا** مع جملتها مقدما للنتيجة التي لا تقبل الرد أو الشك، بل تأتي كقناعة راسخة لدى المحاجج الذي يفصلها بعد ذلك و يؤكد صحتها ويقينها، ويمكن تمثيلها يالشكل الآتي: أمّا...فاء الجزاء ......النتيجة.[1]

نموذج من السورة:

قال الله تعالى:" يَا صَاحِبِيَ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَهُ خَمْرًا وَأَمَا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَا الأَمْرُ الذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ**"**[2].

جاء في الآية الكريمة تفسير وتأويل لرؤيا صاحبيه في السجن، أما الذي حلم أنه يعصر خمرا فتأويله الخروج من السجن، ويعود الى القصر ليسقي سيده الخمر، والآخر الذي حلم أن الطير تأكل من رأسه خبزا، فسيعلق على خشبة وتأكل الطير لحم رأسه[3]،وعليه فالرابط أمّا قدم لنا تأكيدا على مدى صحة تأويل يوسف للرؤيا، ولا يقبل الشك والرد لأنه وحي من عند الله ، ليس مجرد تخمين.

- **أما**=أحدكما، **فـ**=يسقي، **النتيجة**= ربه خمرا.

- **المبحث الثالث: العوامل الحجاجية:**

تحتلف العوامل الحجاجية عن الروابط الحجاجية في كونها لا تربط بين متغيرات حجاجية(أي بين حجّة ونتيجة أو بين مجموعة من الحجج)، بل تقوم بحصر كتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون بقول ما، وتضّم مقولة العوامل الحجاجية في اللغة العربية كأدوات النفي، أدوات القصر، التوكيد، أو بعض المكونات المعجمية مثل: (:ربّما،تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، ما...إلّا... ، وجلّ أدوات القصر[4].

العامل الحجاجي(إنما):

تعريفه:أداة حصر مركبة من (انَّ) و (ما) الكافة الزائدة التي منعتها من العمل، وتفيد التوكيد.[5]. ويرى أئمة النحو :**"**وَإنما تأتي إثباتا لما يذكر بعدها ونفيا لما سواه**"**[6]،

1 - السابق، دحمان حياة، تجليات الحجاج في القرآن الكريم سورة يوسف –أنموذج-،ص188.
2 - سورة يوسف، الآية41. .
3 - السابق، الصابوني، صفوة التفاسير،ص48.
4 - السابق،أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج،ص58..
http://www.almaany.com5.
6 - السابق، السكاكي، مفتاح العلوم، ص291.

قوله تعالى:"قَالَ إِنَمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ"[1]، وهنا إجابة يعقوب- عليه السلام- ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بثَي﴾ أي همِّي ﴿وَحُزْنِيّ إِلَى اللهِ ﴾وحده، فهو كاشف الضر والبلاء[2].

وهنا جاءت إنما تفيد قصر شكوى" يعقوب عليه السلام" وهو التعلق باسم الله، أي يشكو الى الله وحده، ولأن الدعاء عبادة، وهنا تكمن القيمة الحجاجية لأسلوب القصر بإنما في هذه الآية، بالنظر إلى القيمة الواقعية لهذا التخصيص "تخصيص الشكوى لله وحده"، فهذا هو المطلوب شرعا لكل شاكٍ حزين[3].

التوكيد:

اللغة: إحكام الشيء وتوثيقه، أو شده، وكذا التأكيد.

إصطلح النحويون: على أن التوكيد، أو التأكيد هو لفظ يراد به تحقيق المعنى وتمكينه في نفس السامع، وإزالة الشك أو اللبس عن الحديث، أو المحدث عنه[4]، ومثال ذلك في **قوله تعالى**: "إِذْ قَالُوا لَيُوسُفَ وَأَخُوهُ أَحَبُ اِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ "[5].

وهنا حلفوا لما يظنون والله ليوسف وأخوه **"بنيامين"** أحب إلى أبينا يعقوب –عليه السلام-، ثم أكدو قولهم بـ"إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ" وهنا مؤكدين "إن، لـ"، وإخوة يوسف لا يدخل الشك بينهم في أن حب يعقوب ليوسف وبنيامين أكبر منهم، **وقوله تعالى:**"قَالُوا تَاللهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا وَإِنَّ كُنَا لَخَاطِئِينَ"[6].

---

1 -سورة يوسف، الآية86.
2 - السابق، رامي حنفي محمود، تفسير سورة يوسف، الربع الرابع من السورة ، ص19.
3 - السابق، وهبة زحيلي التفسير المنير، بتصرف، ص ،51.54.
4 -المتولى على المتولى الأشرم، ظاهرة التوكيد في النحو العربي، مكتبة جزيرة الورد بالمنصورية، منتدى سور الأزبكية، 2004مـ، ص04.
5 - سورة يوسف، الآية 08.
6 - سورة يوسف، الآية91.

هنا التوكيد بالقسم " تالله"، بالإضافة إلى حرف التوكيد"إنَ" المخففة، وهنا فيه اقرار بالذنب، والاعتراف به[1]، وعليه شكل التوكيد لنا في السورة أثر مهم في تبيين وتوضيح اللغة ومتانتها.

المبحث الرابع: الحجاج في سورة يوسف:

الحجاج القرآني هو الحوار الذي يراد به الإبانة والإبلاغ والإقناع، وذلك باستخدام الدلائل العقلية والعلمية واللغوية والفطرية والواقعية، والبينات القرآنية والكونية في الأنفس والآفاق، إثباتا لحقيقة الإسلام والإيمان بالله ولقائه ورسله وجزائه، وقضايا الآخرة بعثا وحشرا ونشرا وعرضا وحسابا ومصيرا.

اشتمل القرآن الكريم على العديد من القصص بأساليب مختلفة، واِستنتاجات عظيمة، وكانت سورة يوسف حافلة في جوهرها بأسلوب العقلاني ألا وهو الحجاج في كل فترة مرت على سيدنا يوسف ـ عليه السلام ـ، وقد استخدمه لتقديم حجة بليغة وبرهان وذلك لإقناع المخاطَب بما يقال، وسنبين ذلك في بعض ماجاء في السورة:

أ ـ حجاج إخوة يوسف لأبيهم:

لما أحس الإخوة بتفضيل أبيهم يعقوب – عليه السلام- يوسف وأخيه " ونحن عصبة" أي أكبر سنا والأكثر عددا، فكيف يفضلهما علينا بالمحبة "إنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ" أي خطأ في تدبيره.

فإجتمعوا على تدبير مكيدة له وهو إلقاءه في الجب، بعد أن "قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمُ" أي أحد الإخوة، وهو عدم قتله، فقتله أشد إثما، وبذلك محاولين إقناع الأب بأخذه معهم ليلعب ويرتع بشرط أن يحموه ويحافظوا عليه، **قال الله تعالى:** "إذْ قَالُوا لَيُوسُفَ وَأَخُوهُ أَحَبُ إلَى أَبِينَا مِنَا وَنَحْنُ عُصْبَة إنَّ أبَانَا لَفِي ضَلالٍ مُبينٍ، اِقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اِطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُم وَجْهُ أَبِيكُم وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ، قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَاتِ الجُبِ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَارَةِ إنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ، قَالُوا يَا أَبَانَا مَالَكَ لاَ تَأْمَنَا عَلَى يُوسُفَ وَإنَا لَهُ لَنَاصِحُونَ، أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ ويَلْعَبُ وإنَا لهُ لحَافِظُونَ، قالَ إِنِّي لَيَحْزُنَنِي أنْ تَذْهَبُوا بِهِ و أَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ غَافِلُونَ، قَالُوا لَئِن أَكَلَهُ الذِئبُ وَنَحْنُ عُصْبَة إنَا اِذَنْ لَخَاسِرُونَ،

1 - تفسير ابن كثير،http://www.alro7.net.

فَلَمَا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غيَابَاتِ الجُبِ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِئَنَّهُم بِأَمْرِهِم هذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ، وَجَاءُوا أَبَاهُم عِشَاءَا يَبْكُونَ، قَالُوا يَاأَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَا صَادِقِينَ، وجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَلَتْ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ المُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ" (1).

المتأمل في هذه الآيات يرى إبتداءها بلام التوكيد، وذلك بقصد القول وتحقيق بالفعل، وهم لا يشكون في حب أبيهم ليوسف- عليه السلام- وأخيه، وقد بينت الآيات درجة التفاوت في الحقد والضغينة كما هو واضح وجلي في قوله تعالى (والمشروح سابقا)(2).

قد وصل إخوة يوسف إلى حد التفكير في أن النبي يعقوب -عليه السلام- في ضلال في حب يوسف وأخيه " إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ"(3).

وقد اِستعملوا أسلوب الأمر، وهم غير مترددين في فعلتهم بل جادين مواصلين متشاورين في الإتيان بالفعل، "اِقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اِطْرَحُوهُ أَرْضًا"، وهو التخلص منه إما بالقتل أو رميه في أرض قاحلة، وذلك ليخلو قلبه عن حب يوسف و يتحول حبه إليهم، وبعد الجريمة يتوبون "وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ".

وقد جاء أسلوب أمر ونهي المتمثل في **قوله تعالى** "لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَ أَلْقُوهُ فِي غَيَابَاتِ الجُبِّ"، المستعملين في النصح والإرشاد، وبعد أن عزموا، ذهبوا إلى أبيهم طالبين منه أن يترك يوسف يذهب معهم "وَإِنَا لَهُ لَحَافِظُونَ"، وقد جاء قبل هذه الآية أساليب عديدة تمثلت في:

أسلوب النداء: "يا أبانا".

أسلوب الإستفهام: "مَالَكَ لاَ تَأمَنَا علَى يُوسُفَ".

أسلوب الأمر: "أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَلْعَبْ وَيَرتَعُ" المتمثل في الحث على إرساله والإغراء في حفظه.

---

1 - سورة يوسف، الآية08الى 18.
2 - ينظر إبن عاشور، التحرير والتنوير، ص220.
3 - سورة يوسف، الآية08.

أسلوب التوكيد:"انَّ لَهُ لَحَافظُونَ"، التعهد في الحماية[1].

وهذه الأساليب استعملها الإخوة لإقناع الأب، وهي لم تستعمل إلا في الإفتراء والكذب والتنميق في الكلام وذلك لتصديق يعقوب -عليه السلام- ، وقد اِصطنعوا حب أخيهم ولبسوا قناع اللاكراهية والحماية وذلك في **قوله تعالى:**"قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إنَا إِذًا لَخَاسِرُونَ"[2]، وهمهم الأكبر هو التخلص من يوسف –عليه السلام-.

ورغم الحوار واستئمان أبيهم على أخيه ، إلا أنه لم يكن مرتاحا وذلك في قوله تعالى: " قالَ إِنِّي لَيَحْزُنَنِي أنْ تَذْهَبُوا بِهِ و أَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ غَافِلُونَ "[3].

لم تجدِ المحاورة بين الأب وأبناءه نفعا، للمحافظة على أخيهم وأصروا على فعلتهم، وهانت عليهم الأبوة والأخوة، وذلك **في قوله تعالى:**" فَلَمَا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غيَابَاتِ الجُبِ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِئَنَّهُم بِأَمْرِهِم هذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ "[4].

وهنا قد أحاط الله تعالى النبي يوسف-عليه السلام- بالعناية[5]، وبشره بقوله" لتنبِّئَنهُم بِأَمْرِهِمُ هذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ"، وجاء الإخوة في الليل متصنعين الحوادث والبكاء، فقد ادعوا في الأقوال والأفعال متأسفين في فقدان أخيهم، وذلك في **قوله تعالى:** " وَجَاءُوا أَبَاهُم عِشَاءَا يَبْكُونَ، قَالُوا يَاأَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عنْدَ مَتَاِعنَا فَأَكَلَهُ الذِئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَا صَادِقِينَ "[6].

قد تعذروا بعذر كاذب، **قائلين** " يَا أَبَانَا إِنَا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ"، أي نتسابق في الجري والرمي بالسهام وتركناه عند زادنا، فأكله الذئب، متأكدين من بطلان حجتهم وعدم تصديق النبي يعقوب لهم، فقالوا: "وما أنْتَ بموِمنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ"[7].

---

1 - بتصرف، عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني ، في منطوقه ومفهومه،ص 413،417.
2 - سورة يوسف، الآية 12.
3- سورة يوسف ، الآية 13.
4 - سورة يوسف، الآية15.
5 - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص222.
6 - سورة يوسف، الآية 15الى 17.
7 بتصرف.

وبالإضافة أنهم إختاروا الليل لأنه مناسب للتمويه، وعدم كشف ملامحهم الحقيقية في رواية ماحدث ولأن الليل ستار ظلامه حالك، إختاروا ذلك الوقت لخداع والدهم وتصديقه لهم وحتى لايشك بفعلتهم، إلا أنهم تسرعوا في حَبْكِ الجريمة، أن جاءوا على قميص يوسف بدم كذب لطخوه به في غير إتقان ، لذلك كانت الحجة ناقصة وملغاة من الحقيقة (1).

ورغم ذلك كان حزن النبي يعقوب على طريقة الأنبياء، كما هو موضح وصريح في **قوله تعالى:"** قَالَ بَلْ سَوَلَت لَكُمْ أَنْفُسَكُمُ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ المُسْتَعَاُن عَلَى مَا تَصِفُونَ"(2).

وعليه ننفي عنه تعدد الروايات بشأن حزنه، فهو لم يكن حزن بالمعنى الجاهلي المتمثل في الضرب والصراخ والعويل.....الى غير ذلك، بل كان صابرا محتسبا متأملا مستعينا بالله سبحانه وتعالى.

ومن ذلك فإن الحجج القائمة في هذه الآيات والمحاورات أتت للإطاحة بيوسف عليه السلام وإبعاده عن أبيه، وقد جسدت السورة الكريمة سوء الأخلاق والمعاملة، والضغينة والحسد الذي قد يحمله الأبناء في تفضيل بعضهم على بعض، والمكائد التي تنجم عنها.

2-حجاج إمرأة العزيز للنسوة :

لما سمعت النسوة بالخبر راحت كل واحدة منهن تتكلم عن الحادثة، وتحتقرن امرأة العزيز(زلخية)، أنها وقعت في حب فتاها وهي التي ربته في بيتها، فكان على إمرأة العزيز أن تدبر أمرا لتسقطهن وتخرصهن عنها، فأعدت لهن مأدبة وقامت بإستدعائهن، **قال الله تعالى: "**وَقَالَ نِسْوَةُ المَدِينَةُ اِمْرَأَتُ العَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًا إِنَا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ، فَلَمَا سَمِعْتُ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلْتُ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدْتُ لَهُنَّ مُتَكِئاً وَءاتَتْ كُلَ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِينًا وَقَالَتِ فَخَرَجَ علَيْهِنَ فَلَمَا رَأَيْنَهُ أَكْبَرَنَهُ وَقَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَ وَقُلْنَ حَاشَ لِلهِ مَاهَذَا بَشَرًا إِنَّ

---

1 - ينظر، إبن عاشور، التفسير المنير،ص 236.
2 - سورة يوسف، الآية18

هَذَا الَا مَلِكٌ كَرِيمٌ، قَالَتِ فَذَلِكُنَ الذِي لُمْتَنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصِمُ وَلَئِن لَمْ يَفْعَل مَا آمَرَهُ لَيَّسْجُنَنَ وَلْيَكُونَنَ مِنْ الصَّاغِرِينَ، قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُ اِلِيَّ مِما يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَا تَصْرُف عَنِي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِليْهِنَّ وأكُنْ مِنَ الجَاهِلِينَ، فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ"(1).

وبعد مجيئهم للزيارة وجلوسهن أعطت لكل واحد منهن سكينا، لقطع الطعام به، "فلما رأينه أكبرنه " أي أعظمنه وأجللنه ، فمن الدهشة "قطعن أديهن"، أي جرحن من الدهشة أيديهن وقلن "حاش لله" معاذ الله "ماهذا بشرا" أي من الجنس البشري، لأن جماله غير معهود ، "إِنَّ هَذَا إِلَا مَلِكٌ كَرِيمٌ" من الملائكة لا من البشر(2).

وقد فسر **ابن عاشور** صيغة المراودة فقال:"ومجيء فعل **'تراود'** بصيغة المضارع مع كون المراوضة مضت لقصد اِستحضار الحالة العجيبة، والإنكار عليها في أنفسهن ولومها على صنيعها وجملة "قد شغفها حبا " في موضع التعليل لجملة "تراود فتاها" وجملة "إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ " إستئناف إبتدائي لإظهار اللوم والإنكار عليها، والتأكيد ب**"إنَّ"** و**"اللام"** لتحقيق إعتقادهن ذلك، والضلال هنا: مخالفة طريق الصّواب، أي: هي مفتونة العقل بحب هذا الفتى وليس المراد الضّلال الدّينّي"(3) .

رفض النبي يوسف ما دعته اِليه إمرأة العزيز و"استعصم" أي المبالغة في عصم نفسه(4)، وبذلك اِستجاب الله لدعائه وصرف عنه كيدهن **"فَإِسْتَجَابَ لَهُ رَبُهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَّهُنَّ اِنَهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ"،** فالله سبحانه وتعالى سميع لدعائه مجيب.

فعند ذلك **قال يوسف** "السِّجْنُ أَحَبُ إليَّ مِمَا يَدْعُونَنِي اِلَيْهِ"، واِستعان بالله عليهن، أو سيقع بين أيديهن ويكون من الجاهلين، الذين خالفوا أمرك ونهيك(5).

---

1 - سورة يوسف، الآية 30الى34.
2 - بتصرف، أبو عبد الرحمن جمال بن ابراهيم القرشي، قصة يوسف عليه السلام، تفسير فوائد عبر مواعظ، دار النشر مكتبة طالب العلم ، جمهورية مصر، ص 34.
3 - إبن عاشور، التفسير المنير، ص261.
4 - نفس المرجع، ص 254.
5 - بتصرف،عبد الرحمان القرشي، قصة يوسف ، ص43.

فسر **ابن عاشور** قوله **الله تعالى"** وجملة إنه هو السميع العليم في موضع العلة **لـ** "استجاب"، لكن قال تعالى **فـ**"استجاب" المعطوفة بفاء التعقيب ، أي اجاب دعاءه بدون مهلة لأنه سريع الإجابة وعليم بالضمائر الخالصة"[1].

وكل هذه الحجج القائمة إن دلت فهي تدل على نقاوة ونزاهة الأنبياء واِحتسابهم واِرجاعهم الأمور الى الله، وأن اللهو الدنيا ليس بدائم، في مقابل جنة النعيم، وسنبين ذلك في النقاط التاليه لقصة يوسف -عليه السلام-:

أـ امتناعه عن طاعة امرأة العزيز في قضية المراودة " إِنَهُ رَبِي أَحْسَنُ مَثْوَايَ "[2].

ب ـ الفرار من معصية الله، بعد أن غلقت الأبواب "قُدَ قَمِيصِهِ مِنْ دُبُرٍ"[3].

ج ـ فشل النسوة في محاولة إغرائه على اِرتكاب الفاحشة " وَقَطَعْنَ أَيْدِيَّهُنَ وَقُلْنَ حَاشَ لِلهِ مَاهَذَا بَشَرَا إِنَّ هَذَا إِلَا مَلَكٌ كَرِيمٌ"[4].

دـ إيثار السجن على ارتكاب الفاحشة، "السِّجْنُ أَحَبُ إِلَيَّ مِمَا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ"[5].

3 ـ قضية صاحبي السجن والدعوة إلى الله:

مكن الله سبحانه وتعالى ليوسف تفسير الأحلام، فأتاه رجلين من السجن قاصين عليه الحلم، راجين تأويلا منه فاستغل يوسف – عليه السلام – الفرصة في الدعوة الى الله قبل تفسير المنام، لأن حاجتهما إلى معرفة تفسير الحلم سيجعلانهما أكثر اِنتباها واِستماعا لما يقال، وهذا من دهاء وفطنة يوسف –عليه السلام-، **قال تعالى:**"واتبَعْتُ مِلَةَ ءَابَائِي اِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَاكَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ الِله علَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ، يَاصَاحِبِيَ السِجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الوَاحِدُ القَهَارُ، مَاتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ اِلَا أَسْمَاءٌ سَمَيْتُمُوهَا أَنْتُم وَآبَاؤُكُم مَاأَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنَ الحُكْمَ اِلَا لِلهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ القَيّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ"[6].

---

1 - السابق، ابن عاشور، التفسير المنير، ص 267.
2 - سورة يوسف الآية 23.
3 - سورة يوسف، الآية25.
4 - سورة يوسف، الآية32.
5 - سورة يوسف، الآية33.
6 - سورة يوسف، الآية 38الى40.

فقد مهد لهم أنه على هذه العقيدة وقد عقلها منذ نشأته متبعا أباءه، ثم يتوغل –عليه السلام- شيئا فشيئا في لطف ولين في حديثه إليهما بهدف التأثير فيهما وإقناعهما بفساد معتقدهما وبطلان ما يعبدون من دون الله ودعوتهما إلى توحيد الله –سبحانه وتعالى- وتنزيهه عن الشرك، فيناديهما بلفظة (صاحبين) تقربا وتحببا اِليهما، قصد التأثير فيهما عاطفيا ليستمعا ويصغيا إلى رسالته ليدخل بذلك صلب الموضوع ألا وهو الدّعوة الى الله والإبتعاد عن الشرك ويطرح القضية بطريقة موضوعية[1].

طارحا بعد ذلك سؤال "ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الوَاحِدُ القَهَارُ"[2]، وهنا **استفهام تقريري**، لعقد المقارنة بين تعدد الآلهة في الوجود خير، أم الله الواحد الأحد، لأن تعدد الآلهة يقع الإختلاف في الحكم.

وهنا أقام عليهما الحجة ببطلان تعدد الآلهة وعبادتها التي لا أساس لها من الصحة، فهي لا تنفع ولا تضر في شيء، وما هي اِلا أصنام صنعوها آباءهم و إتباعهم في عبادتها وتأليهها، داعيا اِياهم بوحدانية الله وعبادته وحده لا شريك له، مالك كل شيء.

4- رؤيا الملك يعجز تأويلها من حوله:

وبعد أن فسر يوسف الرؤيا بأن أحدهما سيعود الى القصر ليسقي ربه خمرا، والآخر يصلب فتأكل الطير من رأسه، قال- عليه السلام- للذي ظن أنه ناج بأن يذكره عند ربه أي سيده وأخبره بمظلمتي وقصتي، فنسي الرجل ذلك، وعليه بقيَّ يوسف- عليه السلام- بضع سنين، من جراء ذلك، إلى أن رأى الملك رؤيا عجز كل الكهنة والمفسرين عن تأويلها.

قال تعالى:"وَقَالَ لِلَذِي ظَنَّ أَنَهُ نَاجٍ مِنْهُمَا إذْكُرْنِي عِنْدَ ربِكَ فَأَنْسَاهُ الشَيْطَانُ ذِكْرَ رَبِهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينٍ"[3]، وبعدما حلم الملك ، تذكر الفتى، يوسف -عليه السلام-

1 - السابق، أحمد المزواغي ،أساليب الإقناع في سورة يوسف، ص241.
2 - سورة يوسف، الآية39.
3 - سورة يوسف، الآية42.

بعد أن قالوا المفسرين أنها أضغاث أحلام، وطلب من المسؤولين في القصر بأن يرسلوه إلى السجن ليطلب من يوسف تفسير الرؤيا[1].

قال تعالى: **"يُوسُفَ أَيُهَا الصِدِيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَ سَبْعٌ عِجَافٍ وَسَبْعُ سُنْبُلَاتِ خَضْرٍ وَأُخْرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلَّى أَرْجَعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَهُم يَعْلَمُوَن"**[2]، فسر يوسف –عليه السلام- المنام ، طلب الملك مجيء يوسف –عليه السلام – لكنه رفض ذلك، قبل أن تكشف براءته، قال **الله تعالى: "**وَقَالَ المَلَكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَا جَاءَهُ الرَسُولُ قَالَ اِرْجِعْ إِلَى رَبِكَ فَاسْئَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ التِّي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ، قَالَ مَاخَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُّنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَّ حَاشَ لِلهِ مَاعَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتْ امْرَأَةُ العَزِيزِ الأَنَ حَصْحَصَ الحَقُ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَهُ لَمِنَّ الصَّادِقِينَ، ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِي لَمْ أَخُنْهُ بِالغَيْبِ وَأَنَّ اللهَ لَايَهْدِي كَيْدَ الخَائِنِينَ، وَمَا أَبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَفْسَ لَأَمَارَةٌ بِالسُوءِ إِلَا مَارَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِي غَفُورٌ رَحِيمٌ، وَقَالَ المَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَا كَلَمَهُ قَالَ إِنَكَ اليَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ، قَالَ اِجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِي حَفِيظٌ عَلِيمٌ."**[3]

جلب يوسف –عليه السلام – احترام واهتمام الملك ، فأراد عليه السلام أن يفتح قضية المراودة ليبرئ نفسه من التهمة وإقناعه بإعادة التحقيق في سبب إدخاله للسجن، حيث لما أرسل الملك في طلبه أبى أن يخرج منه حتى تظهر وتثبت براءته من التهمة المنسوبة إليه، فأرسل رسول ليستفسر عن سبب تقطيع النساء لأيديهن، وطلب عليه السلام من الملك أن يسأل النسوة دون إمرأة العزيز وذلك خوفا على عزوف الملك من التحري في القضية مراعاة لمنصب ومكانة 'العزيز' كما أن النسوة يوم المتّكأ سمعن اعتراف وإقرار إمرأة 'العزيز' أمامهن بأنها راودت يوسف عن نفسه، الأمر الذي يسهل على الملك تحري واستقصاء الحقيقة وذلك منتهى الحكمة في البحث وغاية الايجاز في الخطاب[4].

---

1 - بتصرف،ابن عاشور، التفسير المنير،ص265.
2 - سورة يوسف، الآية46.
3 - سورة يوسف، الآية 50الى55.
4 - بتصرف، ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ج12، ص 289.

فأجبنه "حَاشَ لِلهِ مَاعَلِمْنَّا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ" أي لم يرون منه أدنى شيء يشينه لا قليل ولا كثير، وجاء الإعتراف فجأة من زوجة العزيز قائله" الآنَ حَصْحَصَ الحَقُ" أي انكشف فظهر بعد خفائه واعترافها بمحاولة فتنته وإغوائه[1].

ولما اكتشفت الحقيقة وظهرت أمام الملأ، طلب الملك أن يجعله –عليه السلام- من المقربين، **قال تعالى:"** وَقَالَ المَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَا كلَمَهُ قَالَ إِنَّكَ اليَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ، قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إنِي حَفِيظٌ عَلِيمٌ[2].

ومن ذلك يكمن الحجاج في تبيان عصمة **النبي يوسف-عليه السلام-**:

1- رفض يوسف –عليه السلام- الخرج من السجن قبل تبرئة ساحته من التهمة **: قال تعالى:"** قَالَ ارْجَعْ إِلَى رَبِكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ التِّي قَطَعْنَّ أيْدِيَّهُنَّ إِنَّ رَبِي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ"[3].

2-الاعتراف الصريح من إمرأة العزيز والنسوة ببراءته: **قال تعالى:"**قَالَتِ اِمْرَأَةُ العَزِيزِ الأنَ حَصْحَصَ الحَقُ"[4].

المبحث الخامس: القيم الحجاجية المتجلية في السورة:

أتت سورة يوسف حافلة بالحجاج منذ بداية الآيات، كما أنها من أحسن القصص التي ذكرت في القرآن، **قال تعالى:"** نَحْنُ نَقُصُ علَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصْ بِمَا أَوْحَيْنَا اِلَيْكَ هَذَا القُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الغَافِلِينَ"[5]، وهنا قد خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم ذاكرا له قصته (أي قصة يوسف)، "ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ" أي ماكان غائبا عنك، والذي يجهله فنبأه به الله عن طريق الوحي، ثم ذكر سبحانه وتعالى في نهايتها" لَقَدْ كَانَ فِي قِصَصِهِمُ عِبْرَةٌ لِأُولِي الأَلْبَابِ"[6] .

1 -السابق، أحمد المزواغي ،أساليب الإقناع في سورة يوسف، ص28.
2 - سورة يوسف،الآية55.
3 - سورة يوسف، الآية50.
4 - سورة يوسف، الآية51.
5 - سورة يوسف، الآية 01.
6 - سورة يوسف الآية111.

وذلك لتبيين أن قصة يوسف من القصص التي ينتفع بها، فقد بين الله تعالى فيها الكيد والمكر وجزاء الصابرين بطريقة تغزو أحداثها العقل.

- وجاءت هذه الآيات كأدلة واضحة، لصدق الوحي ووقوعه، ولتدل على صدق نبوة **محمد - صلى الله عليه وسلم-** " ، فمهما كنت حريصا على إيمانهم وتصديقهم ، وقدمت لهم الحجج والبراهين القاطعة والحجج البالغة فإن أكثرهم يبقى معارضا [1]، **قال تعالى** وَمَا أَكْثَرَ النَّاسِ لَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ"[2]، وهنا يقول تعالى لنبيه محمد: "وما أكثر الناس" مشركي قومك، يا محمد "ولو حرصت " على أن يؤمنوا بك فيصدّقوك "بمؤمنين" أي = بمصدقيك ولا متّبعيك[3].

- قد بين يوسف عليه السلام قبل تفسيره لمنام الرجلين، واستغل الفرصة لدعوتهما الى التوحيد مبينًا ذلك في أسلوب حجاجي عقلي خالص، وذلك راجيا أن تتفتح قلوبهم على الهدى وتقبل النصح والإرشاد، **قال تعالى"** يَا صَاحِبِيَ السِجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الوَاحِدُ القَهَارُ"[4].

- دعوة الإسلام واضحة بينة صريحة تستند إلى حجج وبراهين، يتخلله أسلوب إقناع بالأدلة العقلية، **قال تعالى** مخاطبا رسوله ليبين لهم الطريق الصحيح: **قال تعالى:**"قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أُدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أنَا وَمَنْ اتَبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِينَ"[5].

ـ كما أنه وجه سبحانه وتعالى آيات عديدة للمعارضين والمعاندين على الإعتبار بآثار الأمم المكذبة السابقة[6]،**قال تعالى"** أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةَ الذِّينَ مِنْ قَبْلِهِمُ" [7] .

---

1 - الرحمان القرشي، قصة يوسف ، ص55.
2 - سورة يوسف، الآية 103..
3 - السابق، الرحمان القرشي، قصة يوسف ، ص124.
4 - سورة يوسف، الآية39.
5 - سورة يوسف، الآية108.
6 - السابق، دحمان حياة، تجليات الحجاج في الخطاب القرآني، ص258.
7 - سورة يوسف، الآية109.

ـ زادت محن يوسف -عليه السلام- مدة طويلة، ثم جعل الله له فرجا وعاقبة حميدة، **قال تعالى**: "حَتَى إِذَا اِسْتَيْأَسَ الرُسُلَ وَظَنُوا أَنَهُمُ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمُ نَصْرُنَا فَنُجِيَّ مَنْ نَشَاءُ وَلاَ يَرِدُّ بَأْسُنَا عَنِ القَوْمِ المُجْرِمِينَ"[1]، وهنا يبين **الله تعالى** و يطمئن رسله بالفرج القريب إذا كذبوا بما أخبروه عن الله "جاءهم نصرنا" هند شدة الكرب "فنُجِّيَّ" فننجي "من نشاء" من عبادنا المؤمنين "ولايرُدُ بأسنا" عقوبتنا وبطشنا "عن القوم المجرمين" الذين خالفوا أمره[2].

ـ ولعل سورة يوسف واحدة من هذه القصص الذي يجسدٌ هذه القيم والدّروس والعبر إنطلاقا من سرد يوسف رؤياه على أبيه، ونصح يعقوب –عليه السلام- له بإخفاء الأمر عن إخوته خوفا عليه من أذّيتهم وصولا إلى تحقق هذه الرؤيا، رؤيا **يوسف** -عليه السلام - ، وبين رؤيا وتحققها حياة يوسف وأبيه الملأى بالإبتلاءات والمحن والأحزان والأشجان والآلام والآمال وبالصبر والتجلد، والدعاء والتضرع وتفويض الأمر لله عز وجل[3].

والدارس للسورة الكريمة يتيقن من قيمتها وأسلوبها الحجاجي في الدعوة إلى الله وتبرئته –عليه السلام-، وقد قدم الحجة والبرهان على دعواه بدلائل عقلية يتقبلها العقل ويسلم لها، والقصة بكاملها عبر و مواعظ وأساليب حجاجية ، فالآية التي ختمت بها السورة تدعوا إلى استخدام العقل في معرفة الحق من الباطل، **قال تعالى**: "لَقَدْ كَانَ فِي قِصَصِهِمُ عِبْرَةٌ لِأُلِـي الأَلْبَابِ"[4]..

1 - سورة يوسف، الآية110.
2 - السابق، الرحمان القرشي، قصة يوسف،ص132.
3 - السابق، أحمد مزاوغي، أساليب الإقناع في سورة يوسف، ص286.
4 - سورة يوسف، الآية111.

خـاتـمـة:

لقد كان الهدف من هذه الدراسة الكشف عن دور الحجاج في الخطاب القرآني ومساهمته في الإقناع، وذلك من خلال عظمة القرآن في اختيار الألفاظ وانسجامها، ودقتها في تأدية وتوصيل المعنى، ولعل سورة يوسف من أهم القصص والعبر التي جاءت كاملة في القرآن وذلك لمعرفة القيم والدروس وأسلوب الحجاج المتوفر فيها، ومن اهم نتائج التي توصلنا اليها هي كالآتي:

1- تعددت مصطلح الحجاج في الدلالة عليه، وجاء في القرآن بصيغ مختلفة وارتبط بمصطلحات لطالما كانت مرادفات له كـ الجدل، الحوار، البرهان، المناظرة....

2- ورد مصطلح الحجاج في القرآن للرد على أصحاب الكفر والنفاق ولإبطال الباطل.

3- الحجج الواردة في القرآن تتميز بالإحكام والمتانة، وذلك مراعيا مدركات الناس.

4- الحجاج القرآني، يتيح الفرصة للتفكير والمناقشة، ويستخدم آليات الإبانة والإبلاغ بواسطة الادلة العقلية والفطرية.

5- يتوفر النص القرآني على استراتجيات بلاغية تخدم مقومات الحجاج والإقناع.

6- يعد الحجاج في الخطاب القرآني عنصرا مهما في عملية الإقناع، وفي التمييز الح والباطل.

7- هناك علاقة واضحة بين الحجاج والإقناع، فهو آلية أو وسيلة تضفي الى الإقناع، فهدف الحجاج هو الإقناع.

8- الخطاب القرآني، خطاب صالح في كل زمان ومكان فهو لا يستثني زمنا، يستهدف إرشادهم جميعا مراعيّا تدرج الفهم والعقل.

9- الخطاب الحجاجي قوى طرحه بالإعتماد على الأساليب البلاغية والبيانية التي تظهر المعنى بطريقة اوضح وأجل.

10- يهدف الخطاب الحجاجي الى اقناع التخاطب واستمالته، ومن خصائصه:

البناء والديناميكية، التفاعل، الإلتباس......

11- وعلى الخطاب الحجاجي أن يكون ذا سمات واضحة، وهي حسب ماحددها بنوا رونو benoit renaud:

القصد المعلن، التناغم الإستدلال، البرهنة، الحوار أو التحاورية، التخطيط، الإنتقاء، الغائية.

12- أكد بيرلمان ان الخطاب الحجاجي يأخذ من المتلقي هدفا أساسيا، وذلك من خلال اسقاط عليه كل الأساليب لإقناعه وتوفير له الجو الملائم للتحاور واعطاء الحجج.

13- احتل المتلقي مكانة الخطاب القرآني وذلك من خلال توجيه الخطاب الى العقل، داعيا اياه بالتعقل.

14 ـ سورة يوسف، سورة مكية انفردت في الحديث عن قصة يوسف ـ عليه السلام ـ، عدد آياتها 111، ذكر اسم يوسف 27 مرة، 25 في سورة يوسف، ومرة في الأنعام وغافر.

15- جاءت القصة القرآنية لإثبات وحي محمد ﷺ، فمع انه كان أميًّا، الا أنه قدم لهم أخبار غيبية، وذلك لتيبين أنه وحي يوحى، وهنا يأتي ويتجسد دور الحجاج وأسلوب إقناعه.

16- لما كانت القصة القرآنية مدرسة لتعليم الأخلاق المحمودة من نصيحة وامانة وصبر وصدق وتسامح وعفة، احتوت على قيم مذمومة والتي منها الحسد، الكذب، الظلم، المكر، الاحتيال والخيانة، وقد تجل ذلك كله في سورة يوسف التي تعد قاعدة أخلاق المسلم.

17 ـ كما أنه لا يخفى أن للحجاج حظ من البلاغة وذلك اهم ما تميزت به السورة الكريمة، وذلك في :

المجاز والكناية أتيا كنمط للتعبير الذي أوضح بمهارة واختيار للألفاظ وذلك لإيجاد صلة بين المعنى الأصلي والمجازي، وبذلك قد أدتا وظيفة حجاجية متمثلة في استفزاز المتلقي شعوريا والتأثير فيه.

18- التشبيه من ألوان التعبير الأنيق الذي يميل اليه العديد من الناس، وقد أضفى على آي السورة اقناعا بتوصيل الفكرة بصورة واضحة خالية من النقص، وذلك بربط بين المشبه والمشبه به، وعليه يعد التشبيه آلية حجاجية في نقل المشاهد غير المرئية الى مشاهد مرئية، قالت نسوة مصر في يوسف"إنَّ هذا إلاَ ملِكٌ كَريم".

19- الاستعارة هي الأخرى لا تخرج القصة عن واقعيتها، بل يعكس تأثيرها في الواقع كأنها تمثيل حي لواقع.

20- وعلم البديع بأنواعه ـ محسنات لفظية ومعنوية ـ هو الآخر أضفى على السور قوة وحدة بسلب عقل المتلقي ولفت انتباهه واقناعه بفحواه.

21- أما الروابط والعوامل الحجاجية فساهمت في ربط الأحداث ومتانتها، وذلك لتحقيق نتيجة واحدة، فقد شكل التوكيد ركنا أساسيا اذ بين أثرا مهما في كشف الحقائق وماتخفيه الأنفس من ميول وأهواء، ومكنوناتها الدفينة وتمثل ذلك بقوة في اخوة يوسف ومحاولة ابعاده عن أبيهم، وكان للحوار في الحجاج استراتيجية للإقناع في اخذ يوسف معهم بشرط المحافظة عليه، اذ شكل دورا هاما في تعزيز البينة الحجاجية.

22- تجلت القيم الحجاجية في السورة ككل من بداية آياتها الى آخرها، وبذلك يمكن أن نقول ان سورة يوسف نسيج متكامل يعكس الهدف، مقدما حجة وبرهانا بدلائل يسلم لها العقل.

شهدنا أن سورة يوسف هي أحسن القصص لأنها فريدة في شكلها وفي طريقة عرضها، وفي حجاجها وكيفية إقناعها.

وهذا البحث يعتبر لبنة بسيطة في بناء شامخ لم يكتمل لان أسلوب الحجاج عميق في مضمونه وتوجيهه، والبحث يعتبر حجرة صغيرة في سد كبير، او صرح مشيد، والرجاء ان يضيف الآتي واللاحق الى السابق، وبالله العون وعليه التوكل.

وبعد كل هذا، لم يبق لنا سوى الدعاء من أجل ان ينجح هذا العمل والحمد لله رب العالمين.

والله أعلم وله الحمد من قبل ومن بعد.

سورة يوسف - سورة 12 - عدد آياتها 111

بسم الله الرحمن الرحيم

1. الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ
2. إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ
3. نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ
4. إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ
5. قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ
6. وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
7. لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ
8. إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ
9. اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ
10. قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ
11. قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ
12. أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ
13. قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ
14. قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ
15. فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ

16. وَجَاؤُواْ أَبَاهُمْ عِشَاء يَبْكُونَ

17. قَالُواْ يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لِّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ

18. وَجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ

19. وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلاَمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ

20. وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ

21. وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لاِمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ

22. وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ

23. وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ

24. وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ

25. وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

26. قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ

27. وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ

28. فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ

29. يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ

30. وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ

31. فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ

32. قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ

33. قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ

34. فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

35. ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ

36. وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ

37. قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ

38. وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ

39. يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ

40. مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ

41. يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ

42. وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ

43. وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ

خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ

44. قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلامِ بِعَالِمِينَ

45. وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ

46. يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ

47. قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ

48. ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ

49. ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ

50. وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ

51. قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ

52. ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ

53. وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ

54. وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ

55. قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ

56. وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاء نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاء وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ

57. وَلأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ

58. وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ

59. وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي

الْكَيْلَ وَأَنَاْ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ

60. فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلاَ كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلاَ تَقْرَبُونِ

61. قَالُواْ سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ

62. وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُواْ بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ

63. فَلَمَّا رَجِعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُواْ يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ

64. قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ

65. وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَاعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ

66. قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلاَّ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ

67. وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ

68. وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ

69. وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَاْ أَخُوكَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ

70. فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ

71. قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ

72. قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَاْ بِهِ زَعِيمٌ

73. قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ

74. قَالُواْ فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ

75. قَالُواْ جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ

76. فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاء أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاء أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا
لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاء اللّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن نَّشَاء
وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ

77. قَالُواْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا
لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللّهُ أَعْلَمْ بِمَا تَصِفُونَ

78. قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ
الْمُحْسِنِينَ

79. قَالَ مَعَاذَ اللّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ

80. فَلَمَّا اسْتَيْأَسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُواْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ
عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّىَ يَأْذَنَ
لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ

81. ارْجِعُواْ إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا
كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ

82. وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ

83. قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا
إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ

84. وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ
كَظِيمٌ

85. قَالُواْ تَاللّه تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ

86. قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ

87. يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ
يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ

88. فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ

مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ

89. قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ

90. قَالُواْ أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن
يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ

91. قَالُواْ تَاللّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ

92. قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ

93. اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ
أَجْمَعِينَ

94. وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ

95. قَالُواْ تَاللّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ

96. فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ
مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ

97. قَالُواْ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ

98. قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ

99. فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللّهُ
آمِنِينَ

100. وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ
مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ
الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاء إِنَّهُ هُوَ
الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ

101. رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ
وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ

102. ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُواْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ
يَمْكُرُونَ

103. وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ

104. وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ

105. وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ

106. وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ

107. أَفَأَمِنُواْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ

108. قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ

109. وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَواْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ

110. حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاء وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ

111. لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ.

فـهـرس الموضـوعـات